16 ème Année No. 768

Lundi — 23 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٨ القاهرة فى يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٢٢ مارس سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة

— ٥ —

يوم الجمعة ١١ مايو سنة ١٩٤٥

كان لحديث لقائنا الأول بقية ضاق عن تسجيلها الوقت فى صفحة الأمس فأنا أسجلها ملخصة فى صفحة اليوم .

قلت للآنسة (س) بعد أن قصت علىّ مغامرتها الحمقاء بخروجها من العزبة شريدة ، وسفرها إلى القاهرة فريدة : إن حكايتك فى تحررك من أخيك أشبه بحكاية العنزة (بلانكيت) فى تحررها من سيدها (سيجان)

قالت وما خبر هذه العنزة ؟ قلت : خلاصة خبرها فيما زعم (دوديه) أنها كانت عنزة جميلة الشكل خفيفة الظل ذات قرنين مفوّفين ، وعينين كحلاوين ، وشعر أبيض ناصع ، وظلف أسود لامع ؛ وأنها كانت تعيش فى حظيرة مولاها عيش الراهبين الأغرار ، تنزو وتلعب فى حبلها الطويل ، وتأكل وتشرب فى مذودها الحافل . وفى ذات يوم أطلت من النافذة فأبصرت الجبل يُوشيه الزهر ، والسهل ينشيه النبات ، فقالت لنفسها : يا لله ! ما أجمل الحياة هناك ! وما أسعد من ترتع فى تلك المروج طليقة من هذا الحبل ! ما للعنز وللحظائر والقيود ؟ إنها بالحمير والبقر أخلق . ومنذ تلك الساعة غرضت العنزة من المكان ، وبرمت بالقيد ، وعزفت عن الطعام ، حتى هُزل بدنها وشح لبنها . وكان السيد سيجان كلما دخل عليها الحظيرة وجدها جاثمة على الأرض أمام الباب ، تنظر نظر الشوقة ، وتتغوثغاء الولهى ! فأدرك آخر الأمر أن بها شيئاً تخفيه ، فسألها : ماذا بك يا بلانكيت ؟ لعل حبلك قصير فأطيله ، أو علفك قليل فأزيده ! فقالت العنزة مغضية فى غير اكتراث : أرح نفسك يا سيد سيجان ، فليس ما أشكوه قصر الحبل ولا قلة العلف .

— إذن ما ذا تشكين ؟

— أشكو القيد .

— وما ذا تريدين ؟

— أريد الجبل .

— الجبل ؟ ! ألم تسمعى أن هناك الذئب ؟

— بلى سمعت ، ولكن لى قرنين طويلين يخشاهما الأسد .

— ليس قرناك يا مسكينة أطول من قرنى أختك (رينود)، فقد صاولت الذئب بشجاعة طول الليل، ولكنه أدطر عليها فى الصباح!

— يا للمسكينة ! ولكن لا بأس . دعنى وربك أجرب حظى مع الذئب يا سيد سيجان

فلما رأى سيجان أن عنزته لا يقنعها النطق ولا يعظها التاريخ ، حبسها فى حجرة بالحظيرة ثم أغلق عليها الباب ، ولكنه

ن ينلق النافذة ، ففرت منها إلى الجبل ! ورأى الجبل فى ت غير ما رأى فى سائر المز من جمال اللون وحسن الشارة لقاء جميلا ، وأمر أشجاره أن يظللن لها الطريق ، وأزهاره طرن لها الجو . ووجدت العنزة نفسها مرسلة من كل قيد ؛ ـ ولا حبل ولا جدار ، فأخذت تمرح فى الخلاء الرحب ، ح فى الكلأ الرطب ، وتوازن فى اهتزاز بين ضيق الحظيرة المرج ، وبين تفاهة العلف ومراءة العشب ، فتحمد الله على ها من نعمة الحرية ومتعة العيش . فلما قضت حاجتها من والرى ، أخذت تثب فى الهواء ، وتركض على الأرض ، فوق الصخور ؛ ثم تبال شعرها بماء الندير ، وترقد لتجففه شمس ، ثم تنهض فتصعد فى شعاف الجبل حتى تقف ، فيخيل إليها من فرط الصلف وسحر الغرور أنها حورية وملكة واديه ! وبينما هى ترسل النظر الساخر من ذروة إلى حظيرة سيجان أبصرت قطيعاً من الوعول ينال من الكرم فتحلب ريقها شرهاً إليه ، وما هى إلا وثبات حتى على القطيع ففسح لها المجال بأدب ، وقرب إليها المنال فى . ثم وقع بقلبها بعض الوعول فاختلت به ساعة أو ساعتين ل القلب . وجملة القول أنها قضت يوماً من أيام الجنة لم تقضه عنز من عناز سيجان ، ولا نعجة من نعاج داود .

كن الهواء برد والمساء أقبل ، فخشعت الأصوات ، وسكنت ت ، وانبعث من جانب الحظيرة بوق السيد سيجان يدعو إلى الرجوع ، حينئذ تذكرت الذئب وقد أنساها إياه النهار ولهوه ، فاعتراها شىء من الحيرة والتردد ؛ ولكنها ت كذلك الوتد والحبل ، فعلت شفتيها وأصمت أذنيها ت البقاء ، وانكفأت بلانكيت تبحث عن مرقد وثير فى الجبل فرأت بين الأوراق أذنين مصرورتين تحتهما عينان ن الخطر ، وتقدمان الشرر ، فعلمت أنه الذئب ! وأرادت أن فى سبيلها ، فضحك منها الذئب حتى بدت أنيابه العُصل ، ع لسانه الفليظ ؛ فاستيقنت الموت وتذكرت ما سمعته عن ع العنزة ريمود ، فهمت بالاستسلام ؛ ولكن بدا لها أن ، لا لأنها تعتقد أن العنز تقتل الذئب ، ولكن لأنها كرامتها أن تكون أقل شجاعة من ريمود . والحق أن بلانكيت اضطرت الذئب إلى أن يستريح عشر مرات أثناء المعركة ، وفى كل استراحة كانت تملأ فمها بالعشب الندى ، وترقب طلعة الفجر فى الأفق الحالك ، ثم تعود إلى الصراع ؛ حتى لاح الضوء الشاحب ، وصاح الديك المؤذن ، فخرت شهيدة الحرية بين يدى الذئب وهى تلفظ مع نفسها هذه الجملة :

الحمد لله قد بلغت أمنيتى ، وإن لحقت بى منيتى !

***

قالت الفتاة : فعلة طريفة ! ولكنى أعدك ما دمت عندك أن ألزم الحظيرة ولا أنك القيد ولا أخلع الزمام . فقلت لها : لا تنسى يا بنيتى أن حظيرتك عند أخيك لا عندى ، وأن حريتك فى قيده لا فى قيدى ، وأن زمامك بيده لا بيدى . وهيهات أن أكون لك إلا أباً يشفق أو أخاً يعين أو معلماً يرشد . فقالت وهى تنهنه عبرة تريد أن تقطُر : ليكن ما حسبى أن أراك وأن أسمعك ! لقد حاولت أن أغويك فلم أستطع ، فحاول أنت أن ترشدنى فلعلك تستطيع . سأجعل فى يديك مقاليد أمرى ، وأودع بين جنبيك مكنون سرى . وسأتبين معالم الطريق فى ضوء مصباحك ، وأنشد سكينة القلب فى ظل جناحك . فقلت لها أعاننى الله وأعانك . ثم افترقنا ونفسى تقالب الضلال ونفسها تقالب الهدى ، وما تدرى نفسى ولا نفسها ما ذا تكسب غدا !

يوم الخميس ١٧ مايو سنة ١٩٤٥ :

كان لقاؤنا الثانى فى مطعم الكرسال ظهر هذا اليوم ؛ وكنت قد واعدتها على هذا اللقاء ساعة انصرافنا من جروبى . وكانت هى شديدة الحرص على أن نلتقى كل يوم ، ولكننى أقنعتها بأن تجعل بين اللقاءين أسبوعاً لتعرف فيه خبيئة نفسها ودخيلة هواها ، لنردَ يوم ترد عن بينة ، وتصدر حين تصدر عن بصيرة . سبقتها إلى الموعد فى هذه المرة فتخيرت مائدتنا فى ركن من أركان المطعم المغم . ولم يكد يطمئن بى الجلوس حتى رأيتها مقبلة فى زينتها الكاملة : فرأسها النمرتيتى الساحر قد خلص من يد الحلاق الساعة ؛ وفستانها الفيروزى الأنيق قد خرج من محل الخياط اليوم ؛ وشنطة يدها اللازوردية المعلقة على

(البقية على صفحة ٣٥١)

الحمادون الثلاثة

للدكتور جواد علي

— ٣ —

ونتنقل بك أيها القارىء من حياة حماد الراوية وقد سقت لك بعض أخباره إلى حياة حماد آخر هو « حماد عجرد » وهو يفوق المرحوم صاحبنا عبثاً وزندقة ، ولست أقصد من وراء هذا الحديث رواية أخبار الزنادقة ، وإحياء ذكرى الزندقة ، وفي عصرنا من يفوق من ذكرنا عبثاً واستهتاراً وزندقة وتفاخراً بالخروج على أنظمة البلد والمجتمع . ولكننا نقصد من وراء هذه الدراسة إظهار صورة من صور حياة الناس في ذلك العهد غامضة على كثير من القراء ، ترينا لوناً من ألوان الحياة وفوضوية من تلك الفوضويات التي قوضت دعائم المجتمع العربي القديم .

وحماد عجرد الذي أريد أن أتحدث عنه هو أبو عمرو وقيل أبو يحيى حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي وقيل الواسطي(١) . وبعد فلا تغرنك هذه الأسماء وهذا النسب الطويل العريض وتلك النسبة العربية التي تتحدث في الظاهر عن عربية أصيلة وفي الواقع غير ذلك . ولست بمبيح لك سراً إن قلت لك إن الرجل كصاحبه مولى من الموالي ، من موالي سوادة بن عامر ابن صعصعة . شأن أكثر الماجنين والمجان الذين ظهروا في هذا الوقت خاصة وقت تدهور السياسة العربية وتولي الملوك المترفين من بني أمية مقاليد الحكم في الإسلام . وفي بلد وإن كانت العروبة غالبة عليه غير أن العجمة كانت تبذر مفاسدها فيه وتؤسس نواديها في كل مكان .

لقد كان حماد عجرد على الرغم مما اتهم به من الزندقة سليط اللسان بذيء الكلام لا يقف أمامه في هذا الفن أحد . وقد عرف بشار بن برد وهو من المتهمين بالزندقة كذلك بأنه من أبذأ الناس لساناً وأنه من الهجائين المقذعين في هجائهم . وكان مسرفاً في الهجاء حتى مجل بنهاية نفسه . ومع هذا الهجاء لم يتمكن من التغلب على حماد ولا من إسكاته وقطع أنفاسه فكانت بينهما أهاج شديدة وكانت بينهما سباب وشتائم فقال حماد في بشار أهاج فاحشة جاء فيها بمعان غريبة وإقذاع فاق حد الوصف حتى كان بشار يضج منه(١) .

روى الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي : يا أبا علي ، أما إني قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه ، يعني حماد عجرد . فقلت بماذا يا أبا معاذ ؟ فقال بقولي فيه :

يا ابن نهيا رأس على تقيل ... واحتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيري إلى عبادة ربـ ... ـبين فإني بواحد مشغول

فقلت لي أدعه في عماء . ثم قلت له قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا . قال ماذا يقول ؟ قلت يقول :

فادع غيري إلى عبادة ربـ ... ـبين فإني عن واحد مشغول

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ؛ ثم قال إنني لا أحتشمك فلا تنشد أحداً هذين البيتين . وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي(٢) .

واشتد الهجاء بين الشاعرين فكان بشار يهجو حمادا وهو في البصرة وكان حماد يرد عليه أو ينظم ما هو شر منه وهو في الكوفة . فكان من جملة ما قاله حماد في بشار .

والله ما الخنزير في نتنه ... يربعه في النتن أو خمسه
بل ريحه أطيب من ريحه ... ومسه ألين من مسه
ووجهه أحسن من وجهه ... ونفسه أفضل من نفسه
وعوده أكرم من عوده ... وجنسه أكرم من جنسه

ولما سمع بشار هذه الأبيات تظاهر بعدم الاكتراث وقال : ويلي على الزنديق ! لقد نفث بما في صدره . فقيل له وكيف ذاك ؟ فأجاب ما أراد الزنديق إلا قول الله تعالى « لقد خلق الإنسان في أحسن تقويم » فأخرج الجحود بها مخرج هجائي(٣) . وهو قول منهم في منهم .

قال الرواة وهذا خبث من بشار وتغال شديد . وهو خبث حقاً والتفات فطن ، فيه سرعة خاطر ، يتقطر غيظاً وحقداً من

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧ .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧ .
(٢) الأمالي المرتضى ص ٩٣ .
(٣) الأمالي للشريف المرتضى ص ٩٢ .

الشاعر الأعمى على ذلك الخصم الذى يراه ولا يتمكن بشار رؤيته فيصفه :

قال الشريف المرتضى وأول من جعل نفى الإلحاد تأكيداً ف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة ، مساور الوراق فى حماد حيث قال :

، مانى وديصانا وعصبتهم جاءوا إليك لما قلناك زنديق
العبادة والتوحيد مذ خلقا وذا التزندق نير مح مخاريق(١)

ومساور الوراق صاحب هذه الأبيات شاعر رقيق ماكر من ائين وله فى الهجاء مكانة . وكان ممن يخشى لسانه . وهو ل فى أهل الرأى والقياس :

من الدين قبل اليوم فى سعة حتى بلينا بأصحاب المقاييس
من السوق إذ قامت مكاسبهم
فاستعملوا الرأى بعد الجهد والبوس
غريب فاسموا الاعطاء لهم وفى الموالى من شح علاميس(٢)

كان موجماً فى هجائه . ويمتاز عن أقرانه الشعراء بسعة ثقافته لاعه على الكتب بحكم مهنته ولذلك كان يخشى المثقفون هجاءه وا يسترضونه بالدراهم ويشترون مدحه بالمال .

وكان ظريفاً صاحب مجلس ومعشر محدثاً يدل ما تبقى من ، على خفة روحه ، له قصيدة جميلة فى وصف الطعام يصف نواع الأطعمة والأصناف الفاخرة من الأشربة ، من أوائلها :

بنعتى للملوك ولا ترى فيما سمعت كعيت الأحيـاء
ملوك لهم طعام طيب يستأثرون به على الفقراء
نعت لذيذ عيشى كله والعيش ليس لذيذه بسواء(٣)

ومن الهجاء الذى قاله بشار فى حماد عجرد وهو يمثل بخل و وبعده عن الكرم قوله :

حتفه فى الحى أغلق بابه فلم تلقه إلا وأنت كمين
لأبى يحيى متى تبلغ العلا وفى كل معروف عليك يمين

وهنا لك أبيات أخرى قيل إنها فى هجاء حماد عجرد وقيل فى هجاء حماد بن الزبرقان وهو رجل من هذه القصيلة . وقيل بها فى هجاء حماد الراوية وهى :

(١) الأمالى للمرتضى ص ٩٣ .
(٢) العقد الفريد جـ ٦ ص ١٥٤ .
(٣) العقد الفريد جـ ٨ ص ٩ .

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد(١)
هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد(٢)

وكانت لحماد عجرد بطانة وجماعة تراح إليه وتراح إليها وهى على شاكلته بالطبع ، مثل حريث بن عمر وكان حماد ينزل عليه وكان من المشهورين بالزندقة(٣) . ومثل مطيع بن إياس وهو علم بالزندقة لايحتاج إلى تعريف ، ومثل يحيى بن زياد . وكانوا يجتمعون ويتنادمون ويتنابزون بالألقاب . حدث على بن الجهم فقال : « قدم علينا فى أيام المهدى هؤلاء القوم حماد عجرد ومطيع بن إياس الكنانى ويحيى بن زياد فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يطاقون خبثاً ومجانة(٤) » .

وكانت محجة القوم فى الكوفة بيت رجل يقال له « ابن رامين » قدم من الحجاز ولعله كان من أصل يهودى ، وكان صاحب قيان ونبيذ « فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده مثل يحيى بن زياد الحارثى وشراعة بن الزند بوذ ومطيع ابن إياس وعبدالله بن العباس الفتون وعون العبادى الجيرى ومحمد بن الأشعث الزهرى المغنى وكان نازلا فى بنى أسد فى جيران إسماعيل بن عماد فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده ، ثم انتقل من جواره إلى بنى عائذ فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقة البعد ما بينهما . وكان لابن رامين جوار يقال لهن سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة وكن من أحسن الناس غناء(٥) » .

وقد اشتهر أهل الحجاز بالميل إلى الغناء وباتقانهم فنونه ، ولذلك كان مجلس « ابن رامين » من مجالس طلاب الغناء المشهورة فى الكوفة . وكان عامة من يقصده من أصحاب الفن يحسنون الغناء وقول الشعر أو روايته على الأقل . وكان إسماعيل بن عماد مثلا صاحب شعر رقيق جميل وحس مرهف يقول الشعر فى « ابن رامين » وفى صاحبات ابن رامين وفى شعره نغم موسيقى . وأما محمد بن الأشعث الزهرى وهو من رواد هذا المحل ومن

(١) فى بعض الروايات « يعرف قدره » .
(٢) ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٣٠٢ .
(٣) الأغانى جـ ١١ ص ٢٩٠ .
(٤) ابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٧ .
(٥) الأغانى جـ ١١ ص ٢٦٤ .

الأدب المـــاجن
وأثره فى نكبة فرنسا

للأســـتاذ يوسف البعينى

منذ خمسين عاماً على التقريب لم فى سماء الغرب كاتب من أوسع كتابه ثقافة ، وحكيم من أعمق حكمائه فكرة — هو الأديب الفرنسى الشهور رومان رولان الذى لا يجهله أحد من قراء الأدب العالمى الحديث .

ومما طالعته لهذا الكاتب الخلاب مقالة مطولة عالج فيها نكبة فرنسا فى الحرب الأخيرة وانتهى فى تحليله إلى نتيجة فلسفية رائعة هى أن الأمم الضعيفة الأخلاق العاجزة التفكير فى أدبها وحياتها ، يتسرب إليها الخمول والاستسلام تسرب الاعتلال فى الشجرة النخرة . فإذا لم تتلاف الأمم هذا الداء الوبيل قاضية على جراثيمه الفتاكة سارت إلى الانقراض على ما يذكر التاريخ .

لقد أصاب هذا المصلح الكبير فى تحليله . فهذه أمم الأرض وهى بين منقرضة هجرتها الحياة وخاملة يواكبها الفناء ، نرى أن الضعف الأخلاقى والأدب الماجن المستهتر والانغماس فى أقذار الدعارة كانت السبب الأهم فى انهيار صولتها ، وانطفاء أنوارها ، وانطواء أعلامها فى ساح الجهاد

* * *

ذكرنى مقال رومان رولان بما قرأته من أعوام للبحاثة الأسبانى «أسين بالاسيوس» عن تاريخ الشعب الفارسى وقد عزا سقوط الفرس ، بعد أن درخوا الأمصار واستظهروا فى مختلف مرافق الحياة ، إلى الضعف الأخلاقى الذى تمشى فى آدابهم وضروب معيشتهم مثبتاً صحة كلامه بشواهد عديدة تشير كلها إلى أنواع الدعارة والفحشاء والانحطاط النفسى التى تمرغوا فى أوحالها مستهينين فى إرضاء حواسهم البهيمة بهدم كل قانون سام ونظام اجتماعى . ومن شواهده التى أوردها كتابه المذكور هذه الدعوة الوحشية وقد شاعت فى عصرها شيوعاً عظيماً وهى للحكيم « شنهار » . وفيها يقول :

« الويل كل الويل ، لمن يكفر بالخمرة واللذة المصحوبة بنوبة من الذهول . فإن جزاءه الجحيم إذ تكوى روحه الشريرة بالنار ، وتقطع أطرافه وأوصاله بالسكاكين والكلاليب ، ثم يقذف فى بئر من الدم طعاماً للأفاعى والثعبان . أما الذى يقبل على تقديس الخمرة واللذة فطوبى له إذ ينال رضى خالقه فيعيش سعيداً ، ويموت سعيداً » .

وهذه دعوة ثانية للشاعر « سنطور » الملقب بالعطار الفارسى وقد لاقت إقبالا كبيراً عند خاصة الفرس وعامتهم :

« مالت إلى شفة الكأس الصينية المزخرفة
لارتشف منها ما يثير حواسى الجسدية
وبينما الشفة على الشفة ،
همست شفتها الرطيبة :
إشرب ما دمت حياً

المقيمين فى بنى أسد فكان مطرب النادى ، كان يغنى تلك الأشعار ويأتى بألوان من الغناء تهز السامعين هزاً . وكان مطيع بن إياس وهو صديق حميم من أصدقاء حماد عجرد من هؤلاء الغانين الموهوبين أيضا وكان ينظم الشعر ويرويه . فكانت هذه الندوة ندوة الغانين ، هذا ينظم وهذا يغنى وهذا يروى وهذا ينكت ، ومن هذا الخليط يتكون ذلك الجو الأدبى الذى امتازت به مدينة الكوفة كما امتازت حانات باريس وأمهات المدن الأوربية التى اشتهرت بالنتاج الأدبى فتجد فيها الشذوذ والعبقرية والسذاجة والاتقان والمتناقضات التى لا تجتمع فى نوادى العاديين من الناس .

أما بضاعة هذه الطبقة التى كانت تدر عليهم الأرباح فكانت الشعر وروايته ، وكانوا يحصلون على العطايا والهدايا إما عن طريق المدح وإما عن طريق الذم وهجاء الناس . وكانوا ينفقون أموالهم بغير حساب على القيان والشراب والمجالس والذهاب إلى البساتين لتمضية الوقت بين الماء والخضراء والوجوه الحسنة . وكان بستان شوذين من البساتين التى كان يقصدها إسماعيل بن عمار وصحبه وفى صحبتهم قيان بن رامين . فهنالك شراب وهنالك شواء وهنالك غناء . وهنالك الحياة التى كان يقضيها فرسان العصور الوسطى . أو جماعة « Burschenschaft » من طلاب الجامعات فى ألمانيا التى كانوا يقضون أوقاتهم على هذا النحو أيام الفراغ .

عواد على

فالذة ستفقدها بعد حين وعندها تمسى الحياة بلا جمال »

وزاد العلامة الأسبانى على أدلته البالغة فى كتابه قوله : الشعب الفارسى لم يرض بالذل والهوان ، ولم يألف الانكماش توانى إلا بعد أن فقد أخلاقه فى أدبه واتجاهات حياته . هـذه بقة ناصعة لا تقبل التأويل والاعتراض ؛ لأن انحطاط الأخلاق ة لتضعضع الأفراد والجماعات وهو أشد خطراً على المجتمع من عف المادى نفسه . وما أصدق كلام الشاعر العربى :

نما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهوت الدولة الفرنسية فى الحرب الأخيرة أمام عدوها ريحى الألد ، فلم تغن عنها حصونها المنيعة ولم يجدها نفعاً شها المدرب . وغدت باريس — عاصمة النور — مسرحاً وها التتصر الذى طالما حلم بانتهاك تلك المدينة العظيمة التى نعت تحت سمائها الصافية تماثيل الجبابرة ودور العلم والاختراع تاحف الفن والجمال ، وكلها تحتفظ بالذكريات الخالدة ر الدهر .

وقد تبارى فريق من أمراء اليراعة فى تشخيص هذه الفاجعة حليل أسبابها فقال اندريه موروا الكاتب العالمى إن تفكك ده كان سببه قلة السلاح . وأكد جول رومان صاحب المؤلفات مة فى علم النفس أن تدهور أمته يعزى إلى خمول الساسة بغ أصحاب المقامات العليا . ونسب جاك ماريتان وشارل مورا واهما من أنصار الملكية إنكسار الامبراطورية إلى الاشتراكية برها من الآفات ... ما خلا الحكيم الكبير والمصلح جتماعى رومان رولان فقد خالف أقرانه وجلا بوضوح وجراءة كبة الشعب الفرنسى وأسبابها التى مهد لها الضعف الأخلاقى ى تمشى فى الأوضاع الاجتماعية والأدبية بعد الحرب الأولى بياً على عزة النفوس ، فغدا الأديب لا ينشد فى أدبه سوى غراض الدنيئة ، وأمسى الرجل المسئول لا يفكر إلا فى اء شهواته الحقيرة !

فهل صحيح قول هذا الحكيم ؟

إن من تدبر الأدب الفرنسى الحديث الذى ظهر بعد أن عصفت زعازع الحرب الأولى على العالم مكتسحة من الحياة كل ما يجعل الحياة .. يقر بحقيقة ما يقوله هذا المفكر البصير الذى عالج قضايا المجتمع فى كتابه « جان كريستوف » بما لم يعالجه قبله أحد من كتاب الغرب . وحسب القارىء أن يقابل بين انتاج أعلام الماضى وأدباء اليوم حتى يدرك موطن الحق وإن يكن جارحاً ، ويجس موضع الداء وإن يكن مؤلماً .

وعندى أن هذا النوع من الأدب الحديث هو الذى جنى على الأمة الفرنسية إذ أفسد أخلاقها وأمات فيها تقديس الكرامة وتلك النزعة إلى الحرية التى اشتهرت بها على مدى العصور . وأنا لم أقرأ رواية من هذه الروايات الماجنة المشهرة التى ظهرت بعد الحرب الأولى إلا رأيت الحب الجنسى والميول الساقطة تكاد تكون كل شىء ، فلا يستوقف الطالع من شؤونها الطويلة العريضة سوى تصوير أمور شاذة معيبة يندى لها الجبين حياء وخجلا لأنها تحمل فى طواياها العفونة والفساد مع الأغراء الفاضح المتهتك ...

وأكثر من شط فى هذا الباب زعماء مذهب « اللاوعى » الذى يلاقى اليوم أكبر التأييد فى الشرق العربى وعلى الأخص فى لبنان . وزعماء اللاوعى شبه جنون فى درس المسائل الجنسية فلا يرون فى العالم شيئاً خلافها يستحق الاهتمام ، وهكذا لا تجرى أقلامهم إلا بوصف الشهوات وتفاعيلها وبكل مثير للأهواء ودافع إلى الاستهانة بضوابط النفس والنظم الاجتماعية .

إليك مثالاً من هذا الأدب وهو للشاعرة « جان فالكر » :

« لا أريد النوم !

إذ فى النوم غفلة القلب ، وغياب الحب ، وحياة تمر ضياعاً

قد أطوّق ذراعىّ وأنا نائمة ، ولكن فمى لا يقول للحبيب : اقترب

ومتى غرقت فى سبات عميق تسكن همومى فلا أعود أشعر باللوعة تضنى قلبى وتحطم جسدى . لذلك لا أريد النوم !

إنى أحب آلامى الشديدة التى تضغط على كل شىء فىّ

أحب ساعات اليأس يسود فيها الجنون فتخور عزيمتى ،

وتضيع أنفاسي ، وتتلاشى قواى

أحب الاستسلام إلى كل أنواع العذاب ، لأنى بعد مجىء الصباح ، ألتذ بذكرى ما جرى لى تحت سدول الليل ، لذلك « لا أريد النوم » .

وإليك مثالا ثانيا وهو للشاعرة « ماري درمار » :

« كم فكرت عندما أكون بعيدة عنك قائلة فى نفسى : —

اى سر فيه يجذبنى إليه ؟ إنه ليس فتى جميلا .

بل هو متسلط ، قاس بمظاهره العنيفة !

كم قسوت على بشراسة ، وكم آلمتنى حاملا إلىّ العذاب بحبك الوحشى .

نعم لقد ملأت حياتى بالعذاب . ولكى أتخلص منك ، أريد أن أبغضك .

ولكننى أشعر تحت تأثير قبلاتك الطائشة أننى ملكك إلى الأبد ... »

وهاك مثالا ثالثاً وهو للشاعر بول ڤرلين :

« وقفت أمام رسمه الجميل

وقد لوى عنقه العاجى إلى اليمين

فعاودتنى منه ذكرى ليالينا المبطنة بالآهات والدموع

والغرام — وقد ذوى ربيعه ، ما زال يئن فى القلب قيثاره .

والنظرة السارحة ألقيتها البارحة على جدث يضم رفاته الذى أمسى طعاماً للديدان .

وآهاً — كيف تعرى فصله

حب تنوح فى الدجى أشباحه

أهكذا يتلف الموت أعيادنا

ويغيّب فى الثرى أحلامنا

فيمسى بعد زهو المنى شبابنا ترابا

ويكفن النسيان بكفه الماتية ،

ذكرياتنا الصّباح العذاب ...

نظم ڤرلين هذه القصيدة بعد وفاة (صديقه) أرتور رامبو صاحب عدة مؤلفات شعرية وبينها ديوان « الزورق السكران » وقد تمكنت بينهما علاقات حربية شاع خبرها فى أوربا ثم انتهت فى عاصمة بلجيكا بعد حادثة مشؤومة لا تزال وقائعها محفوظة على اضبارة فى المكتبة الملكية بتلك العاصمة . وأنا ماجئت على ذكر هذين الأديبين إلا لأقول إن أتباعهما منتشرون فى الغرب انتشار الدمامل الخبيثة . ففى أسبانيا تزعمهم الشاعر غرسيا لوركا الذى ذهب ضحية فرنكو فى الثورة الأسبانية الأخيرة وقد ترك آثاراً بندى لها جبين الشعر . وفى البورتغال يعد أنطونيو بوتو فى طليعتهم . أما فى البرازيل فيعرفون باسم « الاعتزاليين » وهم أكثر من هموم إبليس ... لكن المحيط البرازيلى الراقى يواجههم بالنقد القاسى والتقريع الصارم .

وهذا المذهب الباطل بما فيه من تفكك أخلاق مهيض لأجنحة الشعر يقوم على التغزل بالرجل دون المرأة . والتغزل بالغلمان عرفه الفرس والعرب فى عصر الانحطاط .

على أن ما يحيط بهذا المذهب المغرى المشوق من صور ورؤى تموج فى ظلال وألوان زاهية حيناً وقاتمة أحياناً وقع من نفوس أنصاره موقع التأييد والاستحسان فحسبوا غموضه إلهاماً علوياً وإبهامه فناً غريباً . وفى المحاضرة التى ألقاها الأديب الكبير بول ڤالرى عن ڤرلين برهان أكيد على شذوذهم وقد جاء فيها ما يأتى :

« إن السلوك الشاذ ، والصراع مع الحياة القاسية ، وسكنى السجون والمستشفيات ، والعربدة المتصلة ، ومخالطة الأدنياء ، وحتى الإجرام نفسه — كل ذلك مما يلتئم والإنتاج الشعرى الرفيع . والحق أن الشاعر ليس رجلا اجتماعياً بالمعنى المعروف لهذا الإصطلاح ، فما دام الشاعر شاعراً فلن يستطيع أن ينتظم فى أية هيئة من الهيئات التى تنشد مصلحتها من طريق الحرص على الأخلاق والقانون ، فالقوانين المدنية تلفظ أنفاسها على عتبة شعره » .

ويضيق بى المجال إذا جئت أعرض لكل ما هنالك من شؤون وعبر . ولكننى أكتفى بإيراد مثال واحد وهو للشاعر بول جيرالدى صاحب ديوان « أنت وأنا » الذى قال عنه الفنان والفيلسوف الأسبانى المشهور ميكال أونامونو أنه من أحط ما نظمه الشعراء . وها هو :

« وكنا اثنين ، فى الغاب مجتمعين ، تحجبنا أشجاره عن

عين الرقباء ، فإذا ساقية تسير مترنحة ، وبليل على الأغصان يغنى .

كأنهما من صدى قبلاتنا ثملان ... مترنحان .

قلت لرفيق — وقد غمرته نشوة الحب — أمن قوامك الأهيف ، ومن شفتيك الورديتين ، تمتد وعشة سحرية فى الغاب فى الأشجار ، فى المياه والأطيار ، وفى كيانى المذنب يوخز غرام !

غرام طام كالسيل ، مستعر كالنار ؟

وعلى هذا النسق التعاطل يكتب الأدباء المعاصرون كتبهم وروايتهم ويظنون أنهم يخدمون أمتهم المسكينة التى هوت إلى حضيض الهوان فكانوا هم الجانين عليها كما يقول رومان رولان كبير مفكريها فى هذا العصر . وأنا حتى لا أتهم بالتحامل الخروج على الأمة التى أحببتها ووقفت على أدبها وتاريخها كأبنائها الحقيقيين أورد فيما يلى رأى إسطفان زويك الناقد النمسوى المشهور فى أدباء فرنسا المعاصرين وهو : « إن أدباء فرنسا الذين عاشوا بعد الحرب الكبرى متأثرين بمذهب عار من الخلق السامى تكريم والتصور الذى لا حدود له سيجرون المثل العليا إلى الهاوية . وإنى آسف الأسف كله لمصير هذا الشعب الذى سطر فى التاريخ البشرى أروع الصفحات وأمجدها » .

وأورد أيضاً رأى الرئيس ما زاريك الذى تمتع فى حياته بزعامة الأدب والسياسة وقد أدلى به إلى الوزير لويس بارتو عندما زار تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٣٣ وهو : « إن أبطال قصصكم الجديدة عامة تحركهم الشهوات الوضيعة والحب الجنسى الشره . ويمكنكم أن تثقوا كدوا أننا قد ملانا ، بل قد اجتوينا هذا الضرب المأفون من روايات العاطلة السقيمة التى لا تطالعنا فيها سوى امرأة عليلة حبها اثنان أو ثلاثة عدا زوجها « السنديد » الذى تخدعه بشتى الحيل . وهكذا فى دائرة بغير انتهاء . فهل هذا هو الفن الكتابى الرائع الذى اشتهرتم به على مدى العصور؟ ذلك لا يمكن أن يكون إلا هو زيف وكبوة فى الأدباء المعاصرين ، فإذا لم تنهضوا على هذا الداء الوبيل دفعتم غالياً ثمن تهاونكم فى المستقبل .

إن تحت قباب قوس النصر ووراء ستائر البانتيون ميوتاً تحدق . فحذار من تلك العثرات المخيفة ، حذار منها !! »

***

ولقد صدق الرئيس ما زاريك رحمه الله فى نبوءته وأدى الشعب الفرنسى ثمناً فادحاً لقاء رضاه عن ذلك الأدب الماجن المخدر . فهل فى نكبة فرنسا درس لنا أفراداً وجماعات ؟

عندما حمل الصاح الاجتماعى الكبير المرحوم أمين الريحانى على الأدب الماجن السخيف لم يكن يقصد فى حملته الصادقة إلا الأدب الماجن المشهر الذى نشره فى لبنان بعض الكتاب والشعراء من أنصار مذهب « اللاوعى » . وقد أحس الريحانى الفيلسوف أيامئذ إلى أمته الصغيرة التى لا تملك من مفاخر الحياة سوى خلقها العالى المتين ، والأمة التى تخسر خلقها تخسر كل شىء .

إن فى نكبة فرنسا درساً بليغاً لكل من ضعف خلقه وانحط تفكيره . ولو أن هذه الأمة اختطت لنفسها طريقاً قويماً غير الذى سلكته فى العقد الأخير مستوحية تاريخها العظيم الحافل بالأمجاد والمآثر بشواهد العبقرية لما اندحرت ذلك الاندحار الأليم الذى يشبه الأحلام !!

فهل يعتبر أنصار أدب الغموض والإبهام ؟

يوسف اليعبى

من العصبة الأندلسية

تشهر وزارة الأوقاف بصفتها ناظرة مزاد ابدال قطعة أرض ١٥ قسيم وقف حسن بك حسيب الأهلى بناحية القوصية بمركز منفلوط بمديرية أسيوط بثمن أساسى قدره ٥٦٠ ج فعلى راغبى التزايد التقدم لمحكمة أسيوط الشرعية بجلسة ٢٦ / ٤ سنة ١٩٤٨ — ٢١ —

شخصيات عباسية :

جحظة المغني الشاعر

٢٢٤ - ٣٢٤ هـ

للشيخ محمد رجب البيومي

كان للشعر والغناء في الدولة العباسية سوق رائجة ، فما ينظم شاعر قصيدة ، أو يبدع مغن صوتاً ، حتى تتطلع إليه الأنظار ويتصل ذكره بالرؤساء والأعيان فتخلع عليه الهبات الوافرة وتهدى إليه التحف الجزيلة ، وقد يطير ذكره إلى الخليفة ، فيقربه من ساحته ، ويسمر معه في أطيب أوقاته ، حتى يكون نديمه المحظوظ ، وصفيه المختار .

لذلك أكب الناشئون على الأدب ، يقيدون شوارده ، ويقتنصون فرائده ، فحفلت بهم المجالس ، وأورثوا الثقافة العربية ثروة خلّدت العصر العباسي في سجل التاريخ حتى لا يكاد يوجد نظيره في شتى عهود العربية وقد توالت عليها السنون وامتدت بها الأحقاب .

ولقد كان أبو الحسن أحمد بن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي أحد هؤلاء الذين أوتوا نصيباً وافراً من المعرفة ، فقد سلخ من عمره وقتاً مديداً في البحث والدراسة حتى استطاع أن يكون عالماً متعدد الثقافة ، ومؤلفاً غزير المادة ، وشاعراً خفيف الظل ثم هو بعد ذلك مُغنٍ بارع تحن إليه المسامع وتتعلق به القلوب .

انحدر أبو الحسن — وقد اشتهر بجحظة — من سلالة البرامكة فحرص جهده على أن يكون بعيداً عن المزالق السياسية كيلا تحوم حوله الشبهة فيؤخذ بجريرة آبائه وأجداده ، لا سيما وقد وجد في عصر أهدرت فيه دماء الساسة ، وتناثرت أشلاء القادة من وزراء ورؤساء ، بل لقد انتقل الخطر إلى أمراء المؤمنين فكان الخليفة يهوى في ليلة واحدة من القصر إلى القبر ، وحسبك أن تعلم أن جحظة قد شهد في مدى عمره عشرة خلفاء فارقوا تيجانهم ما بين قتيل وجريح

ولم يستطع أبو الحسن أن يستفيد من أدبه وغنائه كما استفاد غيره لأنه كان ذا نمط خاص في حياته فلم يسر في ركاب أمير ، ولم يجامل عظيما ، والرؤساء في كل زمان ومكان لا يجزلون جوائزهم الوافرة إلا لمن يحبر فيهم المدائح الطويلة ، لاهجاً بالثناء عليهم في غدوه ورواحه ، ولهذا كان الشاعر يشكو من دهره ، ويعجب من حرمانه ، أضف إلى ذلك ما وقر في نفسه من أنه سليل البرامكة ذوي الأموال المصادرة ، والتراث السليب ، وهو بعد ذلك فقير معدم تسأله عن حاله فيجيب .

لست الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
أنا الذي دينه إسعاف نائله ... والفقر يعرفه واليؤس والعدم
أنا الذي حب أهل البيت أفقره ... فالعدل مستعبر والجور مبتسم

وكأن السياسة قد حرمت عليه أن يتمدح بآبائه وأهله فكان يعاني من ذلك هما ناصباً وشجنا مبرّحاً ، وقد ينفجر صبره فيسفر عن مراده في وضوح ، ويروح عن نفسه فيقول :

أنا ابن أناس موّل الناس جودهم ... فلم يخل من أحسانهم بطن دفتر

ولقد كان الغناء يدر عليه بعض الخير والنعمة ولكنه مسرف متلاف لا يبقي على شيء فهو في حاجة ماسة إلى العطاء المتواصل ، والغريب أنه ابتلي بمن يغنّيه فيكتب إليه رقاعاً عديدة دون أن يأذن بصرف واحدة منها وقد يكون جحظة في ضيق من عيشه فيملل إليه تبرمه إذ يقول :

إذا كانت صلاتكم رقاعاً ... تُخطّط بالأنامل والأكف
ولم تكن الرقاع تجر نفعاً ... فها خطي خذوه بألف ألف

وشر من ذلك أن يغني جماعة فيقولون له أحسنت ثم لا يعطونه قليلا أو كثيراً وهو ينتظر أن يحظى ببعض ما يتمتع به زملاؤه المغنون من منح وهبات فلا يسعه إلاّ أن يعبر عن هذه الحقيقة المريرة فيهتف .

لي صديق مغرى بقربي وشدوي ... وله عند ذاك وجه صفيق
قوله إن شدوت أحسنت زدني ... وبأحسنت لا يباع الدقيق

ولقد دفعه ضيق يده إلى التهافت على موائد الخلان والأصدقاء فكان لا يترك صاحباً إلا لجّه في مأكله ومشربه ، فإذا صادف منه بشراً وابتساماً سكت عنه ، وإذا لمح في وجهه عبوساً سلقه بهجائه المقذع ، وأخذ يشهر به في كل مكان ، راوياً عن بخله ما يُمتع من النوادر المضحكة كأن يقول « سلمت على بعض الرؤساء وكان مُبخلا فلما أردت الانصراف قال لي يا أبا الحسن ماذا تقول في أكل القطائف ؟ فقلت ما أبى ذلك ، فأحضر لي

جاماً فيه قطائف فأوغلت فيها وصادفت منى سفية ، وهو ينظر إلىّ شزراً فقال يا أبا الحسن إن القطائف إن كانت يجوز أن تحمنك ، أو كانت بلوز أيشمنك ، فتعجبت من شأنه ، وقلت فى أمره .

دعانى صديق لى لأكل القطائف ... فأمعنت فيها آمناً غير خائف
فقال وقد أوجمت بالأكل بطنه ... رويدك مهلا انهى إحدى التالف
فقلت له ما إن سمعنا بهـا لك ... ينادى عليه يا نقيل القطائف

لذلك تجد أكثر معارفه قد أقفلوا أبوابهم فى وجهه حذراً من لسانه كما نهوا على الحجاب أن يصرفوه بمجرد رؤيته ، وجحظة يعلم جيداً ما يبطنون له ، فيشنع عليهم فى تهكم يصل به إلى الوقاحة والتبجح فيقول :

ولى صاحب زرته للسـلام ... فقـابلنى بالحجاب الصراح
وقالوا تغيّب عن داره ... لخـوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائباً ... لأدخلنى أهـله للنكاح

وكان إذا امتدت الوائد لا يرحم معدته بل يأخذ على نفسه عهداً أن يبتلع ما تقع عينه عليه ، وقد بلغ من بعض البخلاء أن ضربه فأوجعه لما صادف من نهمه الزائد ، فقد دخل على هرون ابن عريب فقدم إليه « مضيرة » فأوغل فيها إيغالا جعل ابن عريب يقول له : جعلتُ فداك أنت عليل ، وبدنك نحيل ، والعصب ثقيل . فأجابه النهم فى تهكم ! والعظيم الجليل ، المفضل المنيل ، لا أترك منها الكثير ولا القليل . فغضب هرون وضربه عشرين مقرعة ، ولم يترك جحظة حادثته تمر بل سجلها فى شعره فقال:

ولى صاحب لا قدس الله روحه ... وكان من الخيرات غير قريب
أكلت طعاماً عنده فى مضيرة ... فيـا لك من يوم علىّ عصيب

ومهما يكن من شىء فى هـذه الأخبار ما يدل على كلفه بالطعام ولا ريب فقد كان فيه يستولى على جانب كبير من إنتاجه وتأليفه ، ولم يقتصر على ما نظم فيه من الشعر فى هذا الباب بل ألف كتباً خاصـة ذات فصول وعناوين ، والذى يقرأ هجاءه للبخلاء يعتقد أنه كان على شىء من الكرم فى بيته ، والحقيقة أن أبا الحسن ممن اشتهروا بالكزازة والشح فقد طار له فى هذا الباب صيت بعيد ، قال أبو على الأعرابى : كنت فى بيت جحظة فدخل علينا رجل من البادية ونحن نأكل فدعوناه وكان طاوى نسع ، فأتى على القصعة ونحن نرمقهما ونضحك ، فلما فرغ من مضغه قال له جحظة أتلعب معى النرد ؟ قال نعم فوضعاه بينهما وأبيا فانهزم جحظة هزيمة لم تعهد له ، فأخرج رأسه من الخيمة ورفع يده إلى السماء قائلاً : لعمرى إنى لأستحق هذا لأنى أشبع من أجاعه الله .

هذا وقد أوتمه شرهه فى مضحكات غريبة فقد كان يتحين الخلوة فى رمضان ليشبع جوفه ، وأحياناً يذهب إلى الرحاض وفى كمه كسرات من الخبز يلوكها فى غفلة من العيون ، قال الحسن البغدادى : كان جحظة عندنا أبى يوماً فى شهر رمضان فأجلسته فلما انتصف النهار سرق رغيفاً ودخل المستراح ، واتفق أن دخل أبى فرآه فاستعظم ذلك وقال ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقال أفتّ لبنات وردان ما تأكل . وبنت وردان دويبة كالحنفساء توجد كثيراً بالمستراح .

وغير كثير على جحظة أن يفعل ذلك فقد كان من المستهترين بالدين إلى أبعد حد وأقصاه ، فهو يشرب الخمر ، ويأتى المحرمات ويتعرض للنساء مع أن الله قد منحه من الدمامة قسطاً لا يحتمل معه تماجن وخلاعة ، وقد سماه ابن المعتز بجحظة لنتوء قبيح فى عينه قد شوه سحنته حتى ضُرب بها المثل

وكان فوق ذلك قذر الثياب ، رث الأردان ، مع أنه كان يغشى المحافل العامة ويتصدر منتديات السمر ، وكذلك كان من معارفه البحترى وأبو الفرج ، ولست أفهم لذلك علة غير أن هؤلاء وأمثالهم ربما أرادوا أن يحاربوا ما شاع ببغداد من الترف الفاحش فى الزىّ والملبس ، فدفعتهم المغالاة إلى ما صاروا عليه من قذارة وحطة ، وإلا فلو كان جحظة قد اضطر إلى ذلك لفقره المدقع فلماذا أصر الوليد وأبو الفرج على ما كانا عليه من رثاثة وامتهان

(البقية فى العدد القادم) محمد رهيب البيومي

إعلان

يعلن مجلس البدرشين القروى تأجير التزام معدية البدرشين — حلوان بالمزاد يوم ٤/٦ سنة ١٩٤٨ الساعة ١٠ ص لمدة ثلاث سنوات اعتباراً من ٢٠ مايو سنة ١٩٤٨ ومن يرسو عليه المزاد يدفع تأمينا قدره ٥٠ ٪ من قيمة الإيجار ما

٩٠٦٦

هل عملك تحريم تعدد الزوجات ؟

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

(تتمة)

وأقول رداً على هذا الدفع أنه بقطع النظر عما إذا كان التعدد فى ذاته من حيث المبدأ خصوصية للنبى أو أن الزيادة على الأربع فيه هى وحدها الخصوصية فإن ما سبق أن سقته من الإشارة إلى الأحاديث المذكورة إنما كان للاستدلال على أن المولى جل شأنه لم يكلف إلا بالعدل المستطاع بين الزوجات المتعددات ، وقد رددت فيما تقدم على ماذكره معاليه من أن ذلك كان حكماً وقتياً . أما قوله إن النبى قد أعفى من تكليف العدل فجوابه أنه ثابت بالآثار المستفيضة أنه كان عليه السلام يحافظ على القسم بين زوجاته بالرغم من رفع التكليف عنه بذلك . وقد بين عليه السلام القسم على النحو الوارد فى تلك الأحاديث فوجب على المسلمين الإقتداء به فى ذلك . ويؤيد هذا الآثار الواردة عن بعض الصحابة — ومنهم عمر رضى الله عنه وهو من علم تشدده فى مراعاة أحكام الدين — بمعنى القسم على النحو الوارد فى السنة مما يدل على أنهم كانوا يرون أنهم غير مكلفين إلا بما كلف نفسه به النبى من العدل المستطاع . هذا وقد ختم معالى الباشا رده على الاعتراض المذكور ، بمعارضته بأنه إن فرض أن آية (وأن خفتم إلا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا) مسوقة للتصريح بتعديد النساء إلى أربع فقط فإنها تقرر أيضاً وجوب الاقتصار على الواحدة عند خوف عدم العدل فلماذا لم يأمر النبى الناس بمفارقة ما زاد على واحدة لأن خوف عدم العدل يملأ كل نفس حتى نفس النبى ، واقتصر على أمرهم بما هو مقتضى الشق الأول من النص أى بعدم الزيادة على الأربع وأردف هذه المعارضة بقوله « أن هذا يجعلنا نرتاب أشد الارتياب فى صدق تلك الأحاديث التى يحتجون بها »

والحقيقة أن ليس فيما أورده أية مدعاة للارتياب لأنه إن أراد بالعدل هنا العدل المستطاع فليس مرد القول بالخوف من عدمه إلى النبى بالنظر إلى غيره ، وإنما مرده إلى الشخص نفسه وما يشعر به من قدرته أو عدمها على أجراء هذا العدل ، وهذه مسألة نسبية تختلف باختلاف الأشخاص وأحوال كل وظروفه ، فلم يكن للنبى إذن ما يأمر به فيها زيادة على ما ورد فى الكتابة وقد كان عليه السلام يقول فى مثل هذه الأمور « سل قلبك ولو أفتوك » . أما أن أراد به العدل المطلق (وهو ما يظهر أنه مراده بدليل قوله أن الخوف من عدمه كان يملأ قلب النبى نفسه) فإن معارضته مدفوعة حينئذ بأنها مصادرة على المطلوب على الوجه الذى بينته فيما تقدم ، وفيها — عدا ذلك — حجة عليه لا له ، وهى أن عدم ورود أمر من النبى للناس بمفارقة ما زاد على الواحدة عند نزول الآية دليل على أن العدل المشروط فيها لجواز التعدد ليس هو العدل المطلق والا لأمر بمفارقة ما زاد على الواحدة للقطع بخوف الجميع عدم هذا العدل .

١٢ — الاعتراض الرابع

إن الأمة قاطبة قد أجمعت قولاً وعملاً منذ عصر النبوة حتى اليوم على حل تعدد الزوجات فى الإسلام ؛ فهل كانوا جميعاً بما فيهم الصحابة والخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم غير عالمين ولا فاهمين لحقيقة ما ورد به الشرع من تحريم ذلك ؟ أم كانوا محلين لما حرّم الله ؟

وقد حاول معالى الباشا دفع هذا الاعتراض بأن الإجماع الذى يسرى على المسلم ديانة له صور ثلاث : الأولى أن يقوم فى أساسه على نصوص قرآنية مسلم بصحة قيامه عليها مباشرة أو بطريق القياس الصحيح . والثانية أن يقوم على سنة نبوية يطمئن الضمير على صحتها وإلى صحة قيامه عليها مباشرة أو بالقياس الصحيح كذلك . والثالثة أن يكون إقراراً من الناس كافة لعادة من المباحات لم يأمر بها كتاب ولا سنة ولم يمنع منها كتاب ولا سنة لا مباشرة ولا بالقياس . وهذه الصورة الثالثة هى التى يصح أن يطلق عليها اصطلاح (الإجماع) أما الصورتان الأولى والثانية فإن الدليل الشرعى فيهما ليس هو إجماع الناس إنما هو نص الكتاب أو السنة أو القياس الصحيح على نص أيهما . والمسألة التى نحن بصددها غير مقول أن فيها إجماعاً من قبيل الاصطلاح المذكور بالصورة الثالثة ؛ بل يقولون أن الإجماع فيها قائم على العمل مباشرة بقوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) وقوله من بعد (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) ولا شك أن الحكم ما دام مرده إلى النص فإن لكل مسلم وإن

نصاع قضاء للاجماع المرتب عليه ؛ أن يعترض ويبين ما يعتقده في الأساس من خطأ التأويل .

وردّى على هـذا الدفع أن المتفق عليه بين القائلين بحجية الإجماع — وهم جمهور مجتهدى الأمة المستند بآرائهم فى ذلك تأييدها بما جرى عليه العمل فعلاً فى عهد الصحابة من الاحتجاج بالإجماع والتقيد بما أقره من أحكام — أنه لابد أن يكون له سند من النص أو القياس بمعناه الواسع الشامل للاستنباط من عمومات الشريعة .

وعلى ذلك فالصورتان الأولى والثانية من الصور الثلاث التى ذكرها الباشا هى من صور الإجماع لامحالة ؛ وثمرة وجود الإجماع فى هاتين الصورتين — إلى جانب سنده من النص أو القياس عليه — أن هذا السند قد يكون ظنى الثبوت (كما هو الحال بالنسبة لأحاديث الآحاد ومعظم السنن منها كما هو معروف) وقد يكون ظنى الدلالة (كما هو الشأن فى النصوص المحتملة بظاهرها لأكثر من معنى واحد ، وكما هو الشأن فى القياس) وقد يكون ظنى الثبوت والدلالة معاً (كما هو الشأن فى بعض أحاديث الآحاد التى تحتمل بظاهرها أكثر من معنى واحد ؛ أو التى يظهر بينها وبين نصوص أخرى من الكتاب أو السنة وجه تعارض) والإجماع حجة قاطعة ؛ فإذا ما أقر فى عصر من العصور حُكما مستنبطاً من النص نفسه أو مقيساً عليه أصبح هذا الحكم مما يحرم مخالفته ولا يكون النص بعد ذلك محل اجتهاد ، فلا يحل بعد ذلك لمسلم مخالفته بدعوى أن سند الإجماع محل اجتهاد ، وإنما يحل فى هذه الحالة قبل انعقاد الإجماع .

هذه هى ثمرة وجود الإجماع مع النص ؛ فهو — إذا سلم معنا الباشا بحجيته واستقراره فى هذا الموضوع — مانع لمعالية من التأول فيما تأول فيه من النصوص بما يخالف ذلك الإجماع ، ومانع للمسلمين كافة من الأخذ برأيه فى ذلك إن هو أصر عليه بعد هذا البيان .

هذا ولا يفوتنى أن أنبه هنا إلى ما هو الحق فى نقطة أثارها الباشا فى بحثه ومن شأنها أن توجب بعض اللبس على الناس فى صحة انعقاد الإجماع على هذه المسألة ، فقد قرر أن بعض المتطرفين قالوا بجواز التعدد إلى تسع وبعضهم إلى ثمانى عشرة مستندين إلى تفسيرهم لعبارة (مثنى وثلاث ورباع) بما يوافق ذلك . والحق أنه لم يُنقل عن أحد من الصحابة مثل هذا القول بل كل ما نقل عنهم يفيد العكس أى أن الحكم الشرعى جواز التعدد إلى الأربع فحسب . فإجماعهم إذن لم يخرقه أحد ، وقد قررت ذلك صراحة معظم كتب الحديث والتفسير فليرجع إليها من يشاء كما نقل هذا الإجماع عدة من الثقات فى هذا الباب . أما مخالفة ذلك النفر ممن سلم الباشا بتطرفهم وسفه رأيهم ؛ فهى — إن ثبتت — فلا يعتد بها فى خرق الإجماع المذكور لأنهم وجدوا بعد انعقاد الإجماع على هذه المسألة واستقراره بانتهاء العصر الذى انعقد فيه ؛ وذلك لأن هذا الرأى منسوب إلى بعض الظاهرية وهؤلاء لم يوجدوا إلا بعد عصر الصحابة . على أن شيوخ هذا المذهب أنكروا صدور هذا الرأى عن أحد ممن ينتمون إليهم ؛ فثبوت قولهم به إذن محل نظر . وحتى على التسليم جدلاً بأن خلافهم ثابت وأنه قادح فى هذا الإجماع ؛ فإن قدحه لا يتناول منه إلا إفادة الآية لتقييد التعدد بالأربع ؛ فهو يمس ناحية الحظر فى التعدد لا ناحية الإباحة التى تظل بعد ذلك قدراً متفقاً على انعقاد الإجماع على دلالة الآية عليه ، وهو ما يخالف رأى الباشا القائم على الحظر وعلى أن عبارة (مثنى وثلاث ورُباع) مفيدة بظاهرها الإباحة المطلقة للتعدد الجزاف وإنها — مع ذلك — ليس مقصوداً بها حل التعدد مطلقاً ولا تفيد هذا الحكم بحقيقتها ، فرأيه إذن مخالف للقدر المتفق على انعقاد الإجماع عليه قطعاً فى جميع العصور ...

ولعالى الباشا أيضاً فى دفع هـذا الاعتراض — فيما يتصل بالاجماع العملى قصة عجيبة مسلسلة الحلقات قوامها أن فترة الإسلام الأولى منذ الهجرة حتى آخر الدولة الأموية كانت عهداً مليئاً بحروب المسلمين وفتوحاتهم « والجنود فى كل أمة يدالون ويتجاوز لهم عن كثير من الآثام فى مقابل أنهم وهبوا حياتهم ... » والشباب من جند المسلمين كانت تنتابه فيهم الغريزة الجنسية فى فترات الفراغ والراحة بين المواقع الحربية ولا سبيل لهم إلى إجابة داعيها بغير الزوج لأن الزنا محرم « لكنهم كانوا » إذا أراد الواحد منهم بعد إحدى الوقائع أن يتزوج فوق من تزوجها بعد واقعة سابقة — كانوا يجدون قوله تعالى (فان خفتم ألا تعدلوا

فواحده) مانعاً من التعديد ... ولكنهم من جهة أخرى يعرفون أن آباءهم وأجدادهم المسلمين متزوجون قبل وفاة النبي (أو كانوا في حياته وقبل وفاتهم هم متزوجين) بعدة من النساء ليس عليهم (أو ما كان عليهم) إلا العدل بينهن بقدر الاستطاعة عملا بقوله تعالى فلا تميلوا — الآية ، فيتأففون لسلبهم ميزة التعدد لمجرد تأخرهم في الوجود عمن أبقيت لهم هذه الميزة وهؤلاء كانوا من القاعدين عن القتال لتقدم السن بهم ، لذلك كان الشباب المجاهدون يرون أنفسهم أجدر بهذه الميزة ممن خصوا بها مما دفعهم « إلى التحلل من حكم الآية ، وإلى تعديد النساء واعتفر أولو الحل والعقد للجنود هذا التجاوز ... وبديهي أن السياسة الشرعية ما كانت تأبى هذا الاغتفار لأن النفع الذي كان يحدث للدين الاسلامي من استرضاء الجندي وتحصينه من الزنا أكثر بكثير من إثم التعديد »

« استمر الجنود إذن على التعديد كما إخال ، ولكنهم في داخل ضمائرهم لم ينسوا أنهم لا يستطيعون العدل وأن واجبهم ديانة الاقتصار على واحدة ، فما العمل ؟ لم يعدموا من يهون عليهم هذا الوضع بالحيل الشرعية » فتلمسها لهم المتلمسون في لفظ (رباع) في الآية وحللوا لهم الأربع وألزموهم الوقوف عندها وكان لهم في السبيات الجيلات اللاتي توزعوهن ملكا لهم ما يغني عن التزوج زيادة عن الأربع بالمهيرات الثقيلات النفقة من الحرائر « ولولا هذه الظروف المسهلة لما تنازل الجنود عن التعديد ولاستحلوه إلى ما فوق الأربع ولوجدوا من يعينهم على هذا ... »

« ولقد يخيل إلى (هذا نص كلام معاليه) » أن أولئك الجنود الذين استنوا تلك السنة قد شايعهم عليها أهلوهم « المتخلفون عن القتال ممن كان ساريا عليهم حكم (فلا تميلوا) والذين كانوا — مع ذلك — بحاجة إلى « الاستزادة من الأزواج فوق الواحدة الباقية ممن كن عندهم وقت نزول هذه العبارة ، فكان من مصلحة الجميع البادرة إلى تحبيذ سنة الجنود وإلى تعميمها والسياسة الشرعية أيضاً كانت ترى المصلحة في هذه الناصرة ، وذلك لأن الحرب تهلك الجنود وتقلل عدد الوالدين ، ومن الواجب التغاضي عن العمل بالواحدة في حق المتخلفين (أي عن القتال) وإباحة تعديد زوجاتهم بزيادة العدد ... »

« استمرت إذن عادة الأربع ... ودامت بدوام الحروب والثورات في القرنين الأول والثاني » فلما جاء عصر التدوين في آخر الثاني وأوائل الثالث كانت قد صارت من التقاليد القديمة المستقرة المحببة إلى المسلمين واللائمة لغرائزهم الموروثة ... فاضطر الفقهاء في كثير من الجهات إلى مسايرتها وتدوين الواقع من متابعة الناس لها وتساهلوا في تأويل سندها القرآني كما تساهل فيه المحاربون الأولون .. وما كان في استطاعتهم غير هذا خصوصاً وليست المسألة من المفاسد التي تدعو إلى التحرج ونبذ المسايرات »

ذلك تلخيص القصة التي أوردها معاليه لما قصد دفعه من هذا الاعتراض وقد أدعمنا هذا التلخيص بنصوص كلامه نفسها كيلا يتسرب إلى القراء أدنى شك في صحة نقلنا ، وندع لحضراتهم بعد ذلك الحكم على قيمة هذا الاتهام الخطير الذي تناول بالتأثيم — على الأقل — جميع الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين وفقهاء المذاهب في جميع الأزمنة والعصور ، إن لم يكن بارتكاب المحرم فباقراره بالتغاضي والسكوت عنه طوراً وابتكار الحيل التأويلية للنصوص طوراً آخر ، ثم بنشر ذلك على الناس أخيراً في عهد التدوين على أنه حكم الله في هذا الموضوع متغافلين — طبعاً — عن أنهم مسؤولون أمام الله عما أحدثوه من هذا الحدث الخطير وهذه « الجريمة المستمرة » في الإسلام بالخرق لأحكامه وتقريرهم الحرام للناس على أنه حكم الله فيما أحل ليتبعوه فاتبعوه فعلا — في رأي معالي الباشا حتى يومنا هذا ، ومتغافلين عن القاعدة التي قرروها استنباطاً طامن عمومات الشريعة وهي أن « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » وعما توعد به الله من يحكم بالهوى وبغير ما أنزله

وإنما قلت فيما تقدم أن رأي الباشا يتناول بالتأثيم جميع من ذكرت « على الأقل » لأن الوقائع الحربية لم تبدأ منذ عهد الصحابة بل بدأت في عهد النبي عليه السلام كما هو معروف ...

وأخيراً أدع لحضرات القراء الحكم على رأي هذا سنده في تأويل القرآن بما يخالف المتفق عليه في تفسيره ، ورد السنن المؤيدة لهذا التفسير ، وتسفيه الإجماع المقرر لكل ذلك قولا وعملا . والله أحكم الحاكمين .

ابراهيم زكي الدين بروى
المتخصص في الشريعة الاسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

زواج تولستوى (*)

للأستاذ محمود الخفيف

— ١ —

كان الطبيب بيرز يعيش وأسرته عيشة راضية فى موسكو منذ أن تزوج سنة ١٧٤٢ وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره بالآنسة ليوبوف إسلافين ، وكانت فتاة فى السادسة عشرة ...

كان هذا الطبيب الألمانى الأصل موفور الرزق يكسب من حرفته ومن وظيفته فى بلاد القيصر ؛ وإن لم يك من ذوى الثراء الواسع ؛ وكان له ولأسرته مكانة اجتماعية مردها إلى منصبه الرسمى الذى حصل فيه على لقب النبل جزاءاً على خدماته فى القصر الإمبراطورى ...

وقد أنجبت الزوجة الفتية لبعلها حتى سنة ١٨٦٢ ثلاث عشرة عاش منهم ثمانية ، ومن هؤلاء ثلاث بنات كانت كبراهن واسمها إليزابث فى التاسعة عشرة ، ويليها سوفيا وهى دونها بسنة ، ثم تانيانا وهى دون سوفيا بسنتين ...

ولم تكن زوجة الطبيب بيرز إلا تلك البنت التى أحبها تولستوى وهو طفل ، والتى أدت به الغيرة ، ذات يوم ، إلى أن يدفعها من شرفة فأصابها بالعرج زمناً غير قصير ؛ لم تكن إلا إسلنيف الصغيرة التى عاشت فى كنف أبيه ، وقد ولدتها أمها لرجل يدعى الاسكندر إسلنيف عاشت معه بعد أن هجرت زوجها ولم تستطع أن تحصل منه على الطلاق .

وقد تعلم البنات فى البيت على أيدى معلمين ومعلمات من ألمان وفرنسيين ، وكان أبوهن يعدهن ليكسبن قوتهن بعملهن ، ولذلك كن يتعلمن ليكن معلمات ...

وقرأ البنات ، وبخاصة سوفيا ، كثيراً من الكتب . وكان لقصة ترجنيف الآباء والأبناء أثر عظيم فى نفوسهن ؛ وقد اشتد عطفهن على بطل القصة بازاروف .

وفى ربيع سنة ١٨٦١ نجحت اليزابث وصوفيا فى امتحان تبيح لهما الالتحاق بجامعة موسكو .

(*) فصل من كتاب « تولستوى » الذى سوف تقدمه إلى المكتبة العربية قريباً « مطبعة الرسالة »

تولستوى قبيل زواجه

وكان البنات فى غير أوقات الدروس يخطن ويطرزن وينظفن المنزل ويقمن على مختلف شؤونه ، ويعلمن إخوتهن الصغار ؛ ولم يكن يكدر عليهن صفو حياتهن إلا ما يكون أحياناً من غضب أبيهن ، ولكنهن لم يرين أمهن الصبور الهادئة كيف تحتال بكل حيلة لتفثأ غضبه . فأثر ذلك فيهن أثراً حميداً .

كانت اليزابث كبرى البنات فتاة طويلة القامة ، ساحرة العينين ، فى ملامحها كثير من الجد والسكون ؛ وكانت هادئة باردة الطبع ، قليلة النشاط نوعاً ما ؛ وكانت أعمال البيت تضايقها وتثير فى نفسها الاشمئزاز ، ولعل مرد ذلك إلى كسلها وإلى رغبتها فى القراءة ؛ فكثيراً ما كان يرى فى يدها كتاب ، لا تكاد تفرغ من عمل حتى تعود إليه .

وكانت تانيا صغراهن على نقيض اليزابث ، فتاة امرأ مرحة لا تفتأ تثب هنا وهناك حتى لتملأ البيت كله بضحكها وصوتها الساحر الجميل . وكانت تسمى فى البيت « الشيطانة الصغيرة » ، وكان لها ولع بالموسيقى ، وكانت متقدة العاطفة ؛ تملأ قلبها حرارة الشباب ، تحب صاحباتها فتستغرق فى الحب ، ولا تنى

تظهر لكل من يراها إعجابها بنفسها وفرط إحسانها بذاتها .

وكانت وسطاهن صوفيا ، أو سونيا كما كانت تسمى في البيت ، وسطاً بين أختيها : تميل إلى تاتيانا وتحب مرحها وتنكر من إليزابث سكونها وانطوائها على نفسها .

وكانت سونيا موفورة العافية ، نشطة متوردة الوجنتين ، براقة العينين ؛ وكانت ذات جمال وفتنة وبخاصة عيناها الواسعتان الرماديتان ...

ولئن كانت تحب صوفيا مرح أختها تاتيانا ، إلا أنها كانت تحس أبداً أن هاجساً خفياً لا تدريه ولا تنكره يوحي إليها شيئاً من الحزن المبهم الذي يشوب مرحها دائماً ، فلا تحس سروراً إلا أحست معه شيئاً من الحزن ؛ كتبت لتاتيانا ذات مرة تقول « إن تلك الموهبة التي تحسدين عليها وهي الاستمتاع بكل شيء وبكل شخص بارزة فيك كل البروز ، أما أنا فعلى عكس ذلك ، إذ أجد ثمة شيئاً حزيناً في كل مرح وكل سعادة » .

وكانت سونيا رحيمة بأختها ، تؤدي عمل البيت في غير ضجر أو كلال ؛ وكانت مولعة بالأدب والتصوير الموسيقي ؛ وقد احتفظت منذ الحادية عشرة بدفتر تثبت فيه ملاحظاتها ؛ وقد جاء فيه عن قراءتها قولها « لقد أحدث كل من « عهد الطفولة لتولستوى وداڤيد كوپر فيلد لدكنز في نفسي أعظم الأثر ، ولقد بكيت حين فرغت من قراءة كوپر فيلد لأني سوف أفترق عن أولئك الأشخاص الذين باتوا أعزاء إلى قلبي » .

وكان يغشى بيت بيرز كثير من الأشياف ، وبخاصة في يومي السبت والأحد ، وكانت بنات الطبيب زينة الدار ، وكانت أمهن شديدة الرقابة عليهن تحدجهن حدج اللائمة أمام الضيوف ، أو تنصح لهن بكلماتها إذا خلت إليهن ...

وأخذ البنات يغشين المجتمعات ويشهدن حفلات الرقص ويشاركن فيها ، وقد ذهب لهن صيت في الجمال والظرف والرشاقة وحسن الذوق .

وكان أول من أعجب بسونيا معلمها الشاب ، ولكنها كانت لا تكترث له ، ولا تعبأ بتهدانه ، وبينما كان يعينها على نقل مقعد إذ أمسك بيدها وقبلها ، فصاحت به كيف تجرؤ على ذلك ؟ ثم أرادت أن تريه مدى احتقارها إياه فمسحت بمنديلها موضع شفتيه من يدها ؛ ثم إنها أخبرت أمها بما فعل فلم تعفها من اللوم قائلة « لم لا تسلكين مسلك أختك إليزابث من الجد والاحتشام » وأبعد المعلم المسكين عن البيت ...

وأعجب بها بعده ضابط شاب ، وكان ينتمي إلى أسرة غنية يدعى بولفانوف ، وأحست سونيا انجذاباً نحوه ، ولما قبل يديها ذات مرة لم تغضب ولم تشمئز ، ولكنها أحست النشوة تشيع في هيكلها كله وبانت تتوقع وتحلم ...

ولما هم بالرحيل صارحها برغبته في أن يتزوجها ، وجعل لها الخيار أن تعدل عن رضائها إذا رضيت ، وذلك إذا اضطرته ظروف الحياة أن يغيب عنها . . . وأخذ أهلها هذا على أنه بعض عبث الشباب ...

* * *

كانت أول زيارة ذات بال من جانب تولستوى لأسرة بيرز سنة ١٨٥٦ ، وقد أشرنا إلى هذه الزيارة من قبل ، وقد أعدت المائدة له ولمن كان معه من الضيوف إليزابث أوليزا كما كانت تدعى وأختها سونيا ، وكانتا يومئذ طفلتين فلاعبهما تولستوى وضاحكهما وجلس بعد الطعام يقص عليهما القصص عن سباستبول وما كان من أنباء الحرب ، وكانتا قد قرأتا « عهد الطفولة » و « عهد الشباب » وسرهما ما جاء في الكتابين عن جدهما لأمهما وقد كان كما ذكرنا صديقاً لأبيه ... وأحست البنتان سروراً عظيماً لجلوسهما بين يدي الكاتب النابه ، وداخل تولستوى السرور مما أحس في الأسرة كلها من هيادة وأعجب بالبنتين وأختهما الصغيرة وما أشعنه حولهن من مسرة ... ولقد أسرعت سونيا بعد رحيله إلى الكرسي الذي كان يجلس عليه فربطت في رجله شريطاً لتعرفه ..

وفي سنة ١٨٦١ بعد عودته من رحلته الثانية إلى أوروبا ، زار تولستوى أسرة بيرز ، فأعجبه ما رأى من تغير البنات فقد غدون آنسات يغشين المجتمعات ويأخذن زينتهن في كل مجتمع ؛ وتهفو إليهن أفئدة الشباب ...

وتحدث إلى ليزا حديثاً في الأدب والدين وأفاض في الكلام عن مدرسته ، وأوحى إليها أن تكتب شيئاً من محمد النبي العربي ومن مارتن لوثر ؛ وجلس مع سونيا إلى البيان ، ولعب معها

طريح ؛ وعابث تانيا وضاحكها وقص عليها من قصصه ...

ولم يصرفه اهتمامه بمدرسته عن أسرة بيرز فأكثر من زيارتها ، ورفعت الكلفة بينه وبينهم فكان يأتي إليهم في أي وقت وكأنه واحد منهم ، وألفه البنات وألفهن ، وكن يشرن إليه بلقب « الكونت » وألفه كذلك خدم الدار وبات يحبه ويأنس إليه كل من يراه ...

وتحدث الناس أنه عما قريب سوف يخطب ليزا إلى أهلها ، وقيل إنه ذكر لأخته مرة أنه إذا تزوج يوماً ما فستكون زوجته من آل بيرز ...

وبلغ حديث الناس آل بيرز فسرهم ذلك أبلغ السرور ، ففي اعتقادهم أن ليزا خير من تصلح زوجة للكونت ، وبات الأبوان يتمنيان الخطبة ، وسمت بذلك ليزا فزادت من عنايتها بمظهرها ، وباتت تحلم أحلام الحب والسعادة وفي نفسها عن « الكونت » قد شغفته حباً ...

ولكن تولستوي كان لا يحس في نفسه أنه يحبها ، فقد جاء في مذكراته في شهر مايو سنة ١٨٦١ قوله « قضيت يوماً بهيجاً عند آل بيرز ، يجب ألا أقدم على زواج ليزا » وقال في سبتمبر من تلك السنة إن إلزابث بيرز تغريني ، ولكني لن أدع ذلك يحدث ، فإن هذا الإغراء الذي لا يصحبه أي شعور ما غير مجد » .

وأحس أن سونيا تزداد كل يوم قرباً إلى قلبه ، كما كانت تزداد حسناً ، وأحست الفتاة زيادة اهتمامه بها ، وكان صاحبها القنوف قد غاب عنها غيبة تشبه القطيعة ، وكانت تتوجد عليه أنا ، حتى لتجهش إذا خلت إلى نفسها . ولما رأت إقبال تولستوي عليها أحست مع حسرتها على صاحبها وحيرتها من مسلك الكونت ، وباتت تسأل نفسها : أهو حقاً يحبها ؟ ثم لا تلبث أن ترى أنها واهمة فتذكر بوليفانوف ، ولكنها لا تكاد تلقى تولستوي حتى تملأ نفسها الحيرة .

وعرج تولستوي على موسكو في صيف سنة ١٨٦٢ وهو في طريقه إلى سمارا ، فزار آل بيرز ؛ وكانت سونيا يومئذ تميل بقلبها إلى تولستوي ، ولا تكاد تذكر بوليفانوف ، وكان يحس الكونت نحوها أن قد أخذ يمس قلبه الحب .

ولما قص تولستوي على الأسرة كيف اضطر إلى بيع قصته قبل أن يتمها أو يهذبها ليؤدي بثمنها دينه بعد خسارته في الميسر ، لم تقو سونيا على حبس دموعها رثاء له وتألماً من مسلكه . ولما رحل عنهم كانت سونيا حزينة تطيل النظر صلواتها فدنت منها «الشيطانة الصغيرة» تاتيانا وسألتها في خبث « أتحبين الكونت يا سونيا ؟ » فأجابت أختها في دهشة « لست أدري ... »

ولما عاد تولستوي من سمارا إلى قريته والغضب ملء نفسه مما فعل الشرطة بداره ومدرسته ، أنساه غضبه زيارة من زوجة بيرز ومعها بناتها في أجمل ملابسهن الصيفية لأخته ماري في ياسنايا بوليانا .

وشاع في نفسه السرور بهذه الزيارة ، وكانت تراه عمته تاتيانا وأخته ماري وكأنه من فرط مرحه قد عاد إلى سن العشرين ، وباتتا ترتقبان أن يطلب يد ليزا .

وبلغ من حفاوة تولستوي بالفتيات أن عمل مع الخدم في إعداد سرور نزلهن بنفسه ، وكن في الحجرة التي جعلت لهن يؤدين بعض ما يتطلبه هذا الأعداد وكم ضحكن في مرح وغبطة والتقت عينا تولستوي بعيني سونيا ، وكانت بينهما نظرة طويلة وكأنه لم يرها إلا في هذه اللحظة فإن شيئاً يحسه ولا يدري كنهه يسري في هيكله كله ، وإن عينيها لتحدثانه حديثاً يفهمه حتى كأنه الهمس ، وإن عينيه كذلك لتحدثانها بكل ما في نفسه .. وضرجت الحمرة وجهها فأشردت نظرتها ولكن بعد أن نفذت إلى قلبه .

وزاره في اليوم التالي صديقه فت وبعض أصحابه فخرجوا مع البنات إلى الغابة وقضوا نهارهم في مرح كان البنات مهمته كما كن مبعث ما شاع حولهن من جمال وفتنة .

ولما رحلن إلى إفتسي حيث أرادت أمهن أن تزور أباها في ضيعة التي ورثتها من أمها في هذه القرية التي كانت تبعد نحو أربعين ميلا عن ياسنايا ، لم يطق تولستوي الوحشة بعدهن ، فلحق بهن على جواد أبيض ونظرن فإذا به بينهن .

وكان القصر في افتسي حافلا بالضيوف ، وكان عدد من السيدات والآنسات بينهن بنات بيرز يتهيأن للرقص ، ولكن تولستوي كان في شغل بمأتوسوس به نفسه مما يدور حوله ، وجلس يحدث رب الدار حديثاً كانت تكدره خلجات وجدانه ،

ســـــلافان

محنة الفردية في الأدب المعاصر (١)

للأستاذ شكري محمد عياد

لا أعرف كاتباً صور محنة الفردية في هذا العصر كما صورها جورج ديهامل . ولك أن تقول: محنة الفردية ، أو محنة الفرد حسبما يحلو لك من رغبة في التجريد الفلسفي ، أو التخصيص الإنساني .. وأنت مصيب على الحالين ، فهي محنة يعانيها الأفراد المثقفون اليوم ، لا في فرنسا وحدها بل في كل بلد مسته الحضارة الصناعية والإنتاج بالجملة . ومصدر هذه المحنة إحساس هؤلاء المثقفين ذوي الذكاء اللامع أو الإحساس المرهف أو الخيال الوثاب بأن هذا المجتمع الحديث لم يعد محتاجاً إلى ذكائهم اللامع ولا إلى إحساسهم المرهف ولا إلى خيالهم الوثاب ، بل لعله ينظر إلى هذه الأمور

(١) مقدمة لقصة « اعتراف منتصف الليل » لجورج ديهامل — ترجمة عربية تظهر قريباً .

فإن كل شيء من مراح الشباب ونشاطه يذكره بشبابه الذي ينطوي وروحه التي تخمد ؛ وأنه ليحس وهو بعد في الرابعة والثلاثين كأن بينه وبين الشباب أمداً بعيداً .

وجلس غير بعيد يترقب ويغالب ما في نفسه من حسرة ، وجاءته سونيا تمشي على استحياء وقد حان وقت الرقص فقالت : ألا ترقص الآن ؟ فأجابها وهو يخفي همه بابتسامة : إني اليوم أكبر سناً من أن أفعل ذلك . .

وقد جعل باله في تلك الليلة إلى سونيا ، يدور بعينيه إلى حيث تكون ، وكانت سونيا تقابل نظراته بنظراتها وكأنما تقول له إنها تدرك ما في نفسه ، وكان يحمر وجهها في صورة ملحوظة كلما دنت منه .

ولحظت ذلك عينا لبزا فأفاقت منها زمام أعصابها وقالت لأختها الصغرى ، بعد الحفلة وهي تجهش : إن سونيا لتحاول أن تأخذ مني الكونت . . ألم ترى ذلك ؟ إن مسلكها وإن عينيها وإن رغبتها في أن تنفرد به ، كل أولئك الآن يبدو جلياً . . .

(البقية في العدد القادم) محمود الخفيف

التي كانت تعدها الإنسانية من قبل ميزات نظرة الشك والارتياب لأنها أصبحت تعد في دنيا العمل عوائق ومعطلات . وهم يلاقون من ذلك عناء غير قليل ، حتى ليضطرون إلى إحدى اثنتين : إما أن يستبدلوا بذواتهم الحساسة ذواتاً أخرى أشبه بالآلة في انتظامها ودقتها ، وأكثر انطباقاً على ما يتطلبه المجتمع الحديث ، وإما أن يئسوا أنهم أفراد ، ويلقوا بأنفسهم إلقاء في جيش الساخطين على هذا المجتمع ، المدين المدة لتغييره وفق ما يرونه الحق والصواب . وهم على الحالين لا يستطيعون الاحتفاظ بفرديتهم ، ولا تحقيق ذواتهم ، وقلما ينجون من هذا القلق الذي ينوشهم من كل جانب ، وقلما يصلون إلى حالة من السلام النفسي الذي ينشدونه . وأكثرهم يتطوون على أنفسهم ، ويختبرون إحساساتهم ، ويطعمون أحلامهم وآلامهم ، وربما وجدوا في الألم لذة أكبر ، لأنه لا يلوح لهم بأشياء مستحيلة ، ولا يعرضهم لخيبة قاسية .

هذه الفرقة من الناس ، إذاً ، ظاهرة بارزة في الحياة الإنسانية لعصرنا الحاضر ، يعنى بهـــا علماء الاجتماع ، وعلماء النفس ، والفلاسفة ، والأخلاقيون ، والأدباء ، والفنانون . ومما يزيد عنايتهم بها أن هذا الفريق من الناس هم الجمهور الأكبر من قراء الأدب والفلسفة ، وأهل الفكر ، ومتذوق الفن . فكأن رجال الفكر والفن إذ يعالجون مشاكل هذا الفريق من الناس إنما يعالجون مشاكلهم هم أنفسهم في نطاق أوسع ، وكأن هذا الجمهور إذ يطالع ما يكتبه له الادباء والمفكرون إنما يطلع على مشاكله الخاصة ، وما يقدمون لها من حلول .

كتب جورج ديهامل سلسلة من خمس قصص تدور كلها حول محنة الفردية في العصر الحديث ، أي حول التنافر بين الفرد ونفسه ، وبين الفرد ومجتمعه . وابتدع في هذه شخصية « سلافان » ، وهي شخصية لا تقل حياة ولا صدقاً ولا عمقاً عن شخصية « هملت » أو « دون كيشوت » . هي شخصية ذلك المثقف المرهف الحس الذي يلفظه المجتمع الحاضر ، وتخنقه أوضاع الحياة النافهة العادية . على أن ديهامل لا يتخذ بطله من أولئك المثقفين ذوي الثقافة العالية المنظمة ، ولا من أولئك المفكرين السحابيين الذين يعيشون في أبراج عاجية ، وإنما هو رجل من عامة الشعب ، لم ينل ما اصطلح الناس على تسميته

افة العالية ولا الثقافة الثانوية ، ولكنه قرأ كثيراً وفكر يراً .. يقول لصديق : « إنني فقير ، وقد كنت فقيراً دائماً ، ست كما يدرس الفقراء ، أعني أنني درست دراسة فقيرة . وقد ي ذلك وبخاصة في السن التي يتألم فيها المرء لمثل هذه الأمور . خذت أثقف نفسي بنفسي ، وعلى قدر استطاعتي ، فأنا أعلم م أكثر مما يعلمه غالبية البورجوازيين في مثل سني . ولكن مع أني لم أتعلم هذه الأشياء بطريقة منظمة ، كما تقول . ومن ' يعدني الناس مثقفاً ، وأصدقك القول إنني مستقى العدوى أفكار الناس عني ، فأصبحت أشك أنا أيضاً في ثقافتي . إنها ة طيبة ، لا تخلو من رسوخ وغنى ، ولكنها ليست ثقافة سيلة » . لا ضير ! إنني مثابر على القراءة .

وهو يقضي سحابة نهاره في بعض تلك المكاتب التي تؤوي ات أو مئات من طبقته ، يؤدون أعمالا تافهة . وهو مشغوف سيقى يعالج النفخ بالناي ، ولكنه يقول عن نفسه : « والأمر أنني لنقص الدربة والدراية والدرس أوقع بطريقة عاجزة نية قطعاً أحسها إحساساً طيباً ؛ إذ ينبغي أن أقول — لأكون في الحكم على نفسي — إني مشغوف بالموسيقى ، وإني أدين أنبل مشاعري . ولكني حين أجاهد آلتي لا يبدو على أنني شيئاً مما أوقعه ، على حين أن أورين مثلا — وهو ينفخ ناي أيضاً — أورين هذا الذي لا يفهم شيئاً من الموسيقى ، كن له أصابع متمرنة ، يخيل إلى من يسمعه أنه مشبوب دان » .

وقد تسأل : لماذا جعل ديهامل بطله مثقفاً عامياً وفناناً ً ، ولم يختره رجلا ممتازاً في ثقافته أو فنه ؟ ألا يكون في الصورة الأخيرة أصدق تمثيلا لمشكلة المثقفين في هذا العصر ؟ كنني أذكرك بأمرين اثنين : أولهما أن ديهامل لا يعالج مشكلة ين الممتازين وحدهم ، ولا مشكلة هؤلاء المثقفين الممتازين ، خاص ، بل مشكلة كل من يتغلب فيهم جانبا الفكر جدان على جانب العمل ، وطبيعي ألا يبلغ هؤلاء جميعاً رتبة رية . والأمر الثاني أن القصة والأدب على العموم قد اتجها ة شعبية منذ ظهر المذهب الواقعي في الأدب واتخذ موضوعاته لحياة العادية ، حياة الناس العاديين . لم يبق الأدب تصويراً لحياة الأبطال وصراعهم ، بل أخذ أشخاصه من زحمة الحياة العادية التي تعج بصنوف المآسي والمساخر . ولعل هذا هو الأثر الخالد للمذهب الواقعي في التراث الأدبي الإنساني ، فما أظنه قد أصبح في استطاعة الأدب في حاضره أو مستقبله أن يترفع عن مشاكل جماهير الناس مهما تكن طبقتهم أو ثقافتهم أو نحلتهم ، ولا أن ينتزع العواطف الإنسانية من مجالها الطبيعي ، ليضعها في إطار من العظمة المصنوعة . وقد ظهر المذهب الطبيعي وعميده زولا بعد المذهب الواقعي ، فزاد هذا الاتجاه بالأدب نحو الشعب قوة ووضوحا . فديهامل محافظ إذاً على تراث الأدب الفرنسي الخالد ، وهو في الوقت ذاته دقيق الإحساس بالمشكلة التي يعالجها حين يختار بطله نكرة من النكرات ، أو كما يقول هذا البطل عن نفسه :

« رجلا لا يختلف في شيء عما ألفه الناس ، رجلا يشبه كل الرجال إلى حد مخيف ! »

ظهرت قصتنا Confession de Minuit — وهي الأولى في مجموعة سلافان — سنة ١٩٢٠ ، ثم تلاها « رجلان » Deux Hommes سنة ١٩٢٤ ، و « يوميات سلافان » Journal de Salavin سنة ١٩٢٦ ، و « نادي ليونيه » le Club des lyonnais سنة ١٩٢٩ ، وأخيراً « كما هو » Tel qu'en lui méme سنة ١٩٣٢ . حلل ديهامل في القصة الأولى عناصر التناقض بين الفرد ومجتمعه ، وبين واقع الفرد وآماله ، وبين أفكاره وأعماله . صور ذلك كله منعكساً على ذهن سلافان فهو لا يقص أحداثاً ، بل أبكاراً بلغت من قوتها وتمكنها مبلغ الأحداث ؛ فهي أحداث بالنسبة لصاحبها ، وهي مغامرات حقة تحسك أنفاسك وأنت تقرؤها ... أحداث هذه القصة لا تعدو أن سلافان يفصل من عمله على أثر حادثة يعدها الناس حقاً منه وشذوذاً ، ويراها هو عملا ضروريا يرد إليه ثقته بأنه انسان يعيش بين أناس . وليس بعد ذلك إلا البطالة والتشرد والفاقة ، وأحلام الحرمان ، وأوهام القلب الوحيد .

وفي القصة التالية « رجلان » نرى سلافان الصديق ... نراه في ضوء تلك الصلة النفسية العميقة التي تكشف من أسرار النفوس ما لا تكشفه الأفكار ولا الأحلام ولا الأوهام .

نظرات فى الأدب العراقى

للأديب غائب طعمة فرمان

هل هناك أدب عراقى ؟

سؤال يسأله كثيرون ولا يظفرون له بجواب مقنع ، ولا برأى صائب صحيح .

أما الشيوخ فيزمون بشفاههم احتقاراً وسخرية ، ويهزون رؤوسهم ضحكا من السائل واستخفافاً بالسؤال ، فيكفرون بالواقع وينكرون على العراق أدبه ، وعلى الشباب يقظته ، وعلى الجيل الجديد رسالته ؛ ثم يلقون عليك المواعظ والأمثال ناعين لك الأدب ساخطين على شياطينه الجديدة .

أما الشبان فيرنمون رؤوسهم افتخاراً ، ويقرون بوجود أدب عراقى يواكب الحضارة ، ويتفق مع روح العصر الحاضر ، ويستجيب لضرورات الحياة الحاضرة ، وينظر إلى الوجود كينبوع يستمد منه الأدب إلهامه ، ويقتطف منه زهرات وحيه

أما الأولون فضالون ، وأما الآخرون فمغرورون .

والأدب لن يزول من الوجود ما دامت هناك حياة ، وما دام هناك شعور بالحياة . فالوجود الحاس بالشعور ، المكال بأكليل الحياة ، التنعم بنعيم الإحساس لم يفقد الأدب ولن يفقده أبد الآبدين .

لأن الأدب — فى أبسط مدلولاته — مجموعات تجارب حية يسجلها الفنان فى ألفاظ ، ويرمز لها برموز ليستدل بها من رصيدها الكامن من الأحاسيس والمشاعر ... وهنا يتحدد وجود الحياة ، ويترتب عليه إنشاء الفن .

وأخطل الرأى أن نتصور انعدام أدب أمة وهى ما زالت تتنعم بالحياة .

لأنك فى ذلك تنكر وجودها ، وتسلبها نعمة الحياة ، أو تجعلها فى رتبة الجماد سواء بسواء .

فلابدّ من وجود أدب إذا وُجدت أمة ، لأنه لابد من وجود شعور إذا وجدتْ حياة . والأشياء المحيطة بنا ، اللازمة لنا ، نتأثر بها ، ونشعر بوجودها أو بإمكان وجودها فى مخيلتنا الواعية ؛ ولهذا كله كان الأدب قديم المولد قدم الحياة ، واكب الإنسانية فى تاريخها ، وصاحبها فى نضالها ، ورسم لها صورة الكفاح مع الطبيعة .

وصديقه رجل لا يشبهه فى شىء من الأشياء إذا كان سلافان مثال الرجل الذى لا ينسجم فكره وعمله فإدوار مثال الرجل الذى يقيس فكره على قدر عمله . وإذا كان سلافان مثال الرجل الساخط على وجوده فإدوار مثال الرجل الراضى من وجوده . وإذا كان سلافان مثال الرجل الذى يزداد انحداراً كل يوم ، فإدوار مثال الرجل الناجح الذى يزداد كل يوم صعوداً . إدوار هو على الجملة صورة حية للمجتمع الحديث . هو الرجل الذى تخضع حياته لنظام لا يحيد أو لا يكاد يحيد . هو الرجل الذى يترجم جميع أفكاره إلى أعمال ، وجميع دوافعه وتوازعه إلى مصالح . هو الرجل الذى تنسجم رغباته مع واقع الحياة ، حتى لتحار أيهما يستجيب للآخر ... أهو يكيف وجوده طبقاً لواقع حياته ، أم هى أحداث الحياة تتساوق مع رغباته ؟ يعرف سلافان من مطلع كانا يترددان عليه وكأنه يحس فيه ضعفاً وعجزاً من المضى فى تيار الحياة الزاخر ، فيود لو يسنده بذراعه القوية ؛ ليزداد التذاذاً بقوته ... ويقبل سلافان — بعد تردد — هذه اليد الممدودة إليه ، ويبذل له الصديق من جاهه وماله ، ويقبل سلافان هذه الهبات أيضاً ، ولكن على حساب كرامته وكبريائه ، حتى إذا ضاق صدره بعد سنين طوال من هذه الصداقة غير المتكافئة ، ثار على ما ألقى فيه من عبودية ، وفارق صاحبه فراقاً غير جميل .

والقصص الثلاث الأخيرة تصور صراع سلافان لتحقيق فرديته . فإنه لم يحدد بعد مطلبه من الحياة ، وإنما كانت نفسه أشبه بصندوق رنان ، كل عمله أنه يضخم الذبذبات التى تصل إليه من الخارج : ولكنه قد بدأ يحس نزوعاً إلى إكمال نفسه ، فصاحبه يقول له قبل أن يفارقه : « ما بك ؟ » فيجيب : « بى كل ما ليس بى ... أشياء لا تستطيع أن تمنحنى إياها يا إدوار ... السلام . السعادة . روح خالدة . الله . »

(البقية فى العدد القادم)

شكرى محمد عياد

وبعض الناس لا يفرق بين وجود الأدب وازدهاره واكتمال به الفنية ؛ فهم إذا قالوا : إن العراق ليس له أدب عنوا بذلك يملك أدباً فنياً مزدهراً .

والحقيقة أن العراق — ككل أمة حية — له أدب ، لكنه لم يكتمل بعد أساليبه الفنية ، وأن الروّاد الأولين عند . القرن العشرين ليُذكرون بالاجلال والاحترام لا لأنهم وا بالأدب العراق إلى منزلته العليا ، ولا لأنهم أصابوا حظاً من التجديد ، بل لأنهم عبّروا عن الجيل الناشئ ، وواكبوا ب العراق في قصة نضاله ، وسجلوا آثاره وعواطفه بالانه . ولم يتأخروا عن قافلة الحرية السائرة .

والعراق قريب عهد بنور الحضارة ، وقريب عهد بنور الحرية ب عهد بمصر النضال والكفاح في سبيل السيادة الوطنية ، ستقلال الذاتي . وما زالت صور الاحتلال العثماني البغيض فه الوّلم ، وأصداء الثورة العراقية ترن في الآذان ، ولا زالت الكفاح لنيل الحقوق كاملة ، والاستمتاع بالحياة حرة ، عتاق من القيود والأصفاد قصة الشعب العراقي المتكررة ة المعادة .

والعراق بلد الثورات والانتفاضات ، ومهد الحرية الفكرية صر الإسلام الذهبي ؛ والعراق عابد الحرية والاستقلال أبداً مجبول على الاستمتاع بها ، والتضحية لأجلها . وتاريخ العراق ة من الثورات الداخلية والخارجية ، وسلسلة من التمرد ثور من الوضع القائم . وقصة الشكاية قصة الشعب العراقي ستبق خالدة سرمدية ، يشتكي من السلطان ، ويشتكي من مة ، ويشتكي من الحياة ، ويشتكي من الناس جميعاً . ولن هذه الشكايات لأنها لازمة من لوازم طبعه أو التأمين بيانه .

فمنذ عهد مغرق في القدم كان العراق بركاناً للثورات ، وناراً رمة الأوار ، لا تخمد نار ثورة إلا لتقوم مقامها ثورة أخرى؛ عهد الإسلامي لم يهدأ في حقبة من الحقب ولم ينل منه قرار أي منال . والخلفاء العباسيون لم يستطيعوا على رغم م ونفوذهم ، وامتداد سلطانهم أن يهيمنوا على الوضع ، لتوا لهيب النار ، فما فتئت الثورات تتوالى ، والتمردات ب ، وتراخي الزمن يزيدها عظمة واتساعاً .

والحال كانت أعظم اضطراباً ، وأشد نكاية ، وأكثر تلهباً عند ما زال نفوذ العباسيين ، واضطرب حبل الأمن ، وتناهبت الأمبراطورية الإسلامية أمارات ، ودولة نشأت في بقع مختلفة ، واشتد النزاع فيها على السيادة السياسية والفكرية ، وطال الصراع ولم ينته إلا باجتياح العثمانيين الأمبراطورية المقطعة الأوصال الكثيرة الاضطراب .

والعهد العثماني مظالم كئيب ، سارت فيه المأساة بخطوات وصمت ، وامتلأت النفوس غيظاً ، والقلوب حقداً على الترك المحتلين ، ومقتاً لهم ، وحباً للتخلص من تعسفهم وظلمهم .. ولم يسكت العراق عما يجول في ضميره ، وعما يضطرم في قلبه من نوازع الحرية ، ودوافع الثورة وما انفك يطالب بالإصلاح ويعلن سخطه على الولاة الظالمين .

وفي العهد الوطني لم يسكت العراقيون ، وظلوا يطالبون بالحقوق ، ويلهجون بالاستقلال التام ، ويتحرقون للعدالة الاجتماعية والديمقراطية الصادقة . والحكومات تتوالى والوزارات تتبع الواحدة الأخرى ، والشعب دائب على إعلان السخط . .

فما سبب كل هذا ؟

ما علة هذا التمرّد الطويل ، والتقلب الدائم ، والسخط المستمر ؟

من الشائع المفهوم أن للبيئة الأثر الأكبر في تكوين مزاج الفرد ، وتلوين نفسه وتمييز طباعه

فلننظر إلى الطبيعة العراقية لنستشف من خلالها طبائع العراقيين ، وأمزجتهم الخاصة ، وطابعهم المميّز لهم .

الجغرافيون يقولون : إن طبيعة العراق متقلبة لا تثبت على حال ، ثائرة لا تستقر على منوال ... فهو بلد قاري متغير الطقس تغيراً سريعاً ملحوظاً : قارس الشتاء ، حادُّ القيظ ، وشمال العراق متوج بجبال عالية تكللها الثلوج ، وجنوبه مكتنفٌ بصحراء واسعة جافة ، حمراء الرمال ، كثيرة الزوابع فكثيراً ما تهب الرياح حاملة معها رمالاً مزعجة حمراء .

في هذا الجو الناضب المتقلب يعيش العراقي . فماذا يكون مزاجه وطبائعه ؟

فلا بد من أن يتقلب كما يتقلب جوه ، ويتلون كما تتلون بيئته ، ويثور ويصخب كما تثور صحراؤه وتصخب .

واصطبغ الأدب العراقي القديم — منذ عصور إزدهاره — بصبغة التمرد على الحياة ، والضجر من الطبيعة ، والتأفف من

الناس . وهذا ما نقرأه فى شعر الشعراء العراقيين الذين يمثلون الطبيعة العراقية ، ويستجيبون لوحى البيئة والمحيط ... وتلك الصرخات الداوية فى الشعر العراقى العباسى ما هى إلا استجابة للبيئة . والشريف الرضى والمتنبى جبلان شامخان يبرزان فى محيط الأدب العربى واسمى الدلالة ، مميزى الأعلام .

ولولا الأثر الذى تركه تمازج العرب بالأمم الأجنبية ، وتهافت الأجانب على العراق ، وتأثير السياسة العباسية لظهر الأثر ، أكثر وضوحاً ، وأبرز سمات .

ووُسِمَ الأدب العراقى بالسخط كما وُسِمَ بالثورة ، وفقد الرجل العراقى إيمانه الثابت الراسخ بما تُسن من نظم ، وبما تقوم من حكومات ... لأن مسرحه التقلب أفقده الإيمان بالبقاء الدائم فى كل ما يرى من الأشياء التى تواضع الناس عليها .

وهذه العوامل مضافاً إليها أثر الإخفاق الدائم فى أغلب ما يحاول من أمور ، فى أعم ما يؤمن به من دساتير وحكومات — خلقت روح الكآبة المرة فى نفسه ، وأشاعت الألم فيه ... والإخفاق الدائم يبلغ الفرد إلى الانطواء على نفسه ، وإلى الكآبة القاتمة ويضفى روحاً تشاؤمياً خفيفاً على آرائه وعواطفه ... فلهذا لم نشهد فى تاريخ العراق الطويل رجلا نستطيع أن نضمه إلى دعاة التفاؤل ، والمؤمنين بسير البشرية إلى الحياة السعيدة ، وبلوغها مراتب الاطمئنان والأمان .

وللأسباب ذاتها لم يخلق فى العراق فيلسوف يحسب له حسابه ، ويشمخ مع الشوامخ من الفلاسفة العالميين .

والأدب الشعبى العراقى يرسم لك النفس العراقية التى صورتها لك تصويراً صادقاً تاماً .

وتلك الخطوط والملامح تعين لك الأدب العراقى وتجسمه تجسيماً واضحاً ... ولا مناص من وجودها فى الأدب العراقى الصادق .

وإذا استطاع العصر الحاضر أن يضع حداً لهذه الملامح والخطوط ويخرج لنا أدباً يميل إلى التحرر من عبودية هذه السمات فالفضل فى ذلك لنور الحضارة القائمة على تقارب الأمزجة ، وترابط الأمم .

فلم يعد كل قطر مهما بلغ من عزلته وانطوائه على نفسه ، وحرصه على البقاء فى حدود ذاتيته مستطيعاً أن يقاوم تيار الحياة الجارف القائم على الأخاء والتعاون

ولكن حذار من أن نفهم من ذلك أن ننسى أنفسنا ونبتر قوميتنا ، ونتجنى على تاريخنا ومن الخطأ أن يظن أن القومية والأخذ بأسباب الحضارة الحاضرة طرفا نقيض ... ومهما يكن من طغيان التيار الأممى فإن ملامح القومية لا تزول ولن تزول أبد الدهر ... ونحن العرب لا نزال نعتز بقوميتنا ، مقدسين لتاريخنا .

والسمات والملامح التى رسمتها لن تزول كلها أبداً .

وهى قد عينت لنا الأدب العراقى وصورته ، وبينت حدوده وقسماته ، وعلى ضوئها يمكن أن ندرس من نحب دراسته من شعراء العصر الجديد لنرى مصداق ما كتبت .

ويجب أن أنبه إلى ملاحظة واحدة قبل بدء الدراسة وهى : أن تلك العوامل السالفة الذكر لم تعط مجالاً لظهور الأدب الذاتى ولم نر إلا بعض الأشباح الهزيلة تظهر شفافة ضعيفة ثم تختفى . .

لأن الحياة الصاخبة القائمة الممتلئة بالنشاط والحيوية لا تدع للأدب أن ينشىء أدباً ذاتياً بعيداً عن واقع الحياة ودوافعها ، بعيداً عن أحاسيس الجمهور وشعوره .

غائب طعمة فرمان

كلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

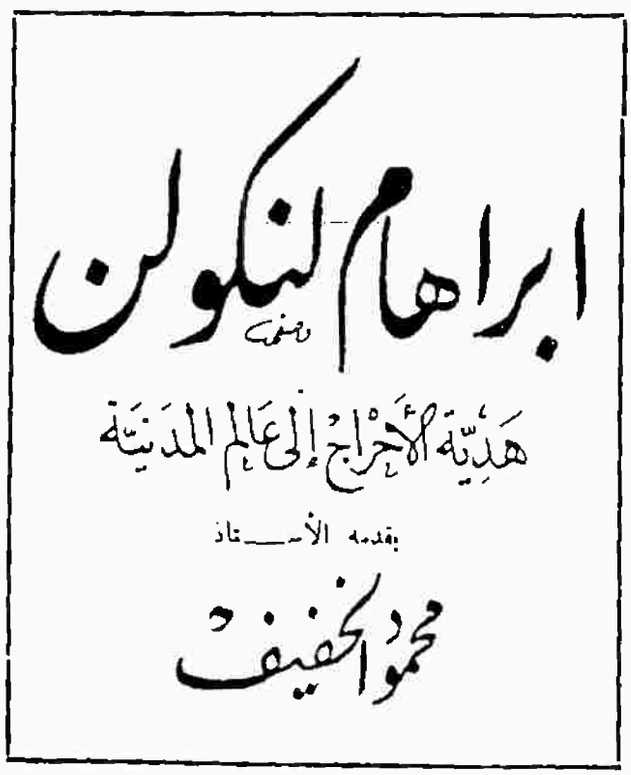

من ديوانه « الشرق »(*):

موت فنـــان

الاســـتاذ حسن كامل الصيرفى

ورثاء فنان مسجى على فراش الموت وقد سكن كل شيء في الليل الا من نحيب الباكين من حوله وقد حمل الأثير على أجنحته صدى صوته في أغنية من أغانيه

غناؤك العذبُ في الظلامْ يرنُّ في مسمع الزَّمنْ
وأنت في قبضة الحِمامْ كالحلم في قبضة الوَسنْ

أأنتَ يا صامتاً تؤوبْ أيامُه للمدى البعيدْ
الصادحُ المرقصُ القلوب الساحرُ الفاتنُ النشيدْ ؟ !

أأنت ... !؟ لا ... أنت غيرُه فأين لي شدوُكَ الجميلْ ؟
قد فارق العُشُّ طيرُهُ وهام كالحائر الضَّليل

كم خيم الحزنُ في رحابكْ ونام في ساحك الرنينْ
تمزِّقُ الليلَ بانتحابكْ وتُرعِشُ النجمَ بالأنين !

يا مُغرقَ الكون في الأغاني الكونُ يشتاقُ للهزارْ
غرقتَ في لُجَّة الزمان فهل تعمقتَ للقرارْ ؟

هجرتَ ألحانك العذاب وعِشتَ في صمتك الحزين
تجرِّع اليأسَ والعذابْ وتشربُ السُّقمَ والمنون

أأنت من حرَّك النفوس بصوته الساحر الرؤوم ؟ !
أأنت من أرقص الكؤوس أأنت من أرَّق النجوم ؟!

أأنت ... ؟! لا ... أنت غيرُه فأين لي صوتُك الحنون ؟
قد بانَ لليل فجرُه وأنت مُستلم الجفون !

أصمتك الوحشُ الكئيب يا هاتف الأنس السخريّ
بمـــاذا لِمَ مُغرم يذوبْ على ترانيم أغنيـــه ؟

(*) يصدر بعد أسبوع عن دار المعارف بمصر

قد غالك السُّقم واستبدْ وأنت في ميعة الشَّبابْ
سلمتَ نيرانَ الأبدْ لجاهل لجَّه اضطراب

يطوف في ساحك القدر يُجمِّدُ الجبهة الكئيبا
يضمُّ من كوبك الزَّهرْ ويحطمُ الفنَّ والشَّبابا

قد خفَّ في صمتك المنون بروحك الحيَّة الصَّدى
فتَّ في الليل .. والسكون يكفكفُ الطلُّ والندى

غناؤك العذبُ في الظلام يرنُّ في مسمع الزَّمن
وأنت في قبضة الحِمام كالحلم في قبضة الوَسنْ

حسن كامل الصيرفى

اذكـــريني ...

للأستاذ عبد القادر القط

افترقنا .. فاذكري الماضي ولا تنسَيْ صداهْ
والمحي في كل محزون خيالاً من رؤاه
وإذا طالعت في دنياك ألوان الحيـــاه
من شـــقاء وصـــفاء ومهانات وجاه
فأطيلي وقفـــةَ الآسي على التِّمثيل الهين
وصـــبابات أمانيَّ وجاه . . . واذكريني

وإذا رفرفَ عصـــفورٌ بأجواز السحابْ
مرحَ الخفقةِ واللفتة صـــدّاحَ الإياب
وتدلى . . فرأى في العش أطفـــار الخراب
ورأى أفراخهُ الزُّغب دماء في الـــتراب
فاذكري من دمك الغالي على الطير الطهين
ونفوس شـــقَّها ذلُّ التراب . . واذكريني

وإذا ألقت بأيديهـــا إلى القيظ الظـــلال
واستباحت لفحةُ الشمس محاريب الجـــمال
ورنا الزهرُ إلى النور بأجفان ثقـــال

الأدب والفن في أسبوع

تقديم الفائزين في مسابقة المجمع اللغوي :

أتينا في العدد الماضي على نتيجة المسابقات الأدبية التي احتفل بمجمع فؤاد الأول للغة العربية بإعلانها في دار الجمعية الجغرافية الملكية ، وقد حملنا التهيؤ للطبع على الاقتصار بذكر أسماء الفائزين وجوائزهم ، ونذكر الآن أهم ما كان في هذا المحفل وخاصة تقديم الفائزين .

ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني كلمة عن الشعر قال فيها إن الشعراء الذين يظهرون في الأمم أكثرهم ينسون ، لأن الشعر كسائر الفنون ، لا يخلد فيه إلا الأعلون أو الذين يقول فيكتور هيجو إن حرارة نفوسهم تبلغ درجة الفليان التي ما فوقها درجة. وما أكثر من قالوا الشعر في كل أمة وكل جيل من أجيالها ، وما أقل من بقيت أسماؤهم مذكورة ، لأن الأوساط لا يحصون وذاكرة الدنيا أضعف وأضيق من أن تعي غير الأفذاذ ، والوسط كالردى، في ميزانها أو حسابها ، كلاهما يسقط من الحساب أو يميل في الميزان .

ولقد تلقى لجنتنا في هذه المسابقة أكثر من ثلاثين ديواناً كلها من الوسط ، فكان بين أمرين ، أن يتشبث بالمثل الأعلى وذلك عزيز ، أو أن يؤثر التشجيع وسبيله أهدى ، فآثره ، ونظر في الشعر الذي عرض عليه متسامحاً ، واستخلص أربعة دواوين قسم الجوائز بين أصحابها ، لتعذر الفاضلة الصريحة مع التقارب الشديد ومن هذه الدواوين ما يجري على النهج القديم أو التقليدي ، وما يؤثر نهجاً جديداً ، وما يتبع القديم حيناً وينحرف عنه حيناً ، ولكن فيها كلها اجتهاداً واضحاً وإخلاصاً بيناً ، وكثير مما تركت إجازته ليس دون هذه كثيراً ، ولكنه كان لابد من مقياس للمفاضلة ، والمقياس هو وضوح الشاعرية وحسن الأداء ووفاؤه أو على الأقل سلامته من الشوائب .

وهكذا كاد الأستاذ المازني يخلع أسحابه من الشعر (مع الفارق بينه وبين أبي موسى الأشعري) كما خلع نفسه من قبل .

وقد قدم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف الفائز في البحث الأدبي « مهيار الديلمي وشعره » فأفاض في الثناء عليه وفي بيان قيمة بحثه ، ولم يأخذ عليه شيئاً .. ومما يذكر أنه لم يقدم في مسابقة البحوث الأدبية غير هذا البحث وبحث آخر في « البيئة الأدبية في المدينة أيام بني أمية » وكانت المفاضلة بين البحثين ، ففاز الأول .

وقدم الدكتور إبراهيم بيومي مدكور الفائزين في القصة ، فعرف بكل منهما وبين أثر دراسته في أدبه ، وقال إن قصة الأستاذ نجيب محفوظ « خان الخليلي » تمتاز بالروعة القصصية الفنية ولكن يلاحظ على أسلوبها عدم الدقة في الناحية اللغوية أما قصة « على باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان فتمتاز بصدق التاريخ وسلامة الأسلوب وصفاء الديباجة وسمة اللغة والعمل الفني فيها مقبول .

وتمشت في رحاب الكون أنفاسُ الكلال
فأحسّي اللفحَ والضيقَ مع الظلّ السجين
وانشُدي الرَّوْحَ لأبناء الكلال .. واذكريني

وإذا أنتْ على صمت من الليل الرياح
وتوارت في دياجي السحب آفاقُ الصباح
وأفاق الطير من نجواه مذعور الجناح
وسحَت من حولك الدنيا على وخز الجراح
فدمى روحك تنسابُ مع اللحن الحزين
وامنحي الرحمةَ أنضاء الجراح ... واذكريني

وإذا ما خفق الشجو على ثُمر الغصون
باكيات تاجها الأخضرَ في كفّ المنون
وتبدّى الأفقُ الشاحبُ مقرورَ الجبين
وعلت في خلد الأحياء أحزان السنين
فابعثي في تلك المراح مطوىّ الشجون
وجراحات أمرّتها السنين ... واذكريني

عبد الغفار مكاوي

المعجم الكبير :

من قرارات مؤتمر المجمع الموافقة على نموذج المعجم الكبير من حيث المبدأ ، على أن يتابع السير فيه ويعد بما يتطلبه العمل من نظمين وخبراء .

وهذا المعجم مقرر أن يخرج بمقتضى المرسوم الملكي بإنشاء مجمع ، ليكون شاملاً لألفاظ اللغة العربية وتحقيقها وبيان اشتقاقها بأسلوب جديد وعلى نمط يلائم التقدم العلمي الحديث . وقد اتفق على أن يكون الدكتور طه حسين بك مقرراً لهذا المعجم على أن يختار له مساعدين لإعداده ، ومن بين هؤلاء المساعدين أن يكون ملماً باللغات السامية باحثاً في العلاقات بينها وبين اللغة العربية ، وقد طلب إلى الدكتور طه حسين بك وضع نموذج لهذا العمل يعرض على المؤتمر حتى إذا أقره أمكن المضي في إعداد المعجم على أساسه ، فقام الدكتور طه ومعاونوه بوضع نموذج يتضمن مادتي « أبر » و« أجر » وأظهر ما في هذا النموذج تقسيم المادة الأصلية إلى معان رئيسية تتوزع الصيغ المسموعة في هذه المعاني ، على أن يصدر كل قسم من أقسام المعاني الرئيسية ببيان يقابله في اللغات الأكادية والعبرية وغيرهما من الشقائق السامية ، كذلك تضمنت المواد بيان أهم الأعلام الجغرافية والتاريخية التي تتفق هاتين المادتين ، وأضيف إلى الصيغ العربية الأصلية ما جد في الاستعمال العربي من مصطلحات وكلمات تجري في الشؤون العامة مما عني بتسجيله دوزي ولين وغيرهما .

وقد طبع هذا النموذج وعرض على أعضاء المؤتمر لدراسته ليناقش في إحدى جلساته ، وأذن المؤتمر بالجري في وضع المعجم على هذا النسق بعد إبداء ملاحظات طلب أن تكون موضع النظر

وإدارة المجمع الآن بصدد اختيار المعاونين في وضع المعجم وعرض الأمر على مكتب المجمع لتدبير الوظائف وتقدير مكافآت المعاونين الذين يندبون من خارج المجمع .

الواجب الثقافي نحو الجنوب :

لبى الدكتور طه حسين بك دعوة رابطة الطلبة السودانيين في اختتام موسمها الثقافي بإلقاء محاضرة عن « واجب مصر الثقافي نحو الجنوب » بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية يوم الجمعة

قال الدكتور طه : إن مصر قصرت في نشر الثقافة في السودان تقصيراً لم يكن لها فيه حيلة لأنها كانت مكرهة عليه بل هو كتقصيرها في حق نفسها ، لتحكم الإنجليز في شؤونها ، واستمر تقصيرها الثقافي إزاء السودان بعد أن حصلت على استقلالها الداخلي وتمكنت من تدبير أمرها في التعليم ، لأن الإنجليز حالوا بينها وبين السودان بخلق المشاكل التي بدأت بقتل السردار وإخراج الجيش المصري من السودان ، وظل الإنجليز يخلقون المشاكل ويضعون العقبات في سبيل الثقافة المصرية بالسودان إلى اليوم ، وأشار الدكتور إلى الصعوبات التي صحبت إنشاء مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم ، تلك الصعوبات التي لا يعرفها أكثر الناس والتي لا تزال قائمة إلى الآن . ثم قال : على أنني أفترض أن هذه الصعوبات والعقبات لم تكن وأن مصر خلي بينها وبين تدبير أمر الثقافة بوادي النيل شماله وجنوبه ، فماذا كان يحدث ؟ كان لابد أن تولي التعليم بالجنوب من عنايتها ما تبذله للشمال ، فكانت تنتشر المدارس على اختلاف درجاتها في أقاليم السودان انتشارها في أقاليم مصر ، وكانت جامعة فؤاد الأول بالقاهرة تستقبل الطلبة من الجنوب كما تستقبلهم من الشمال ، وحين فكرت مصر في إنشاء جامعة ثانية لم يكن مكانها إلا الخرطوم قبل الإسكندرية . ولكن الإنجليز حالوا دون كل ذلك ليفرقوا بيننا في الثقافة ، وفي الوقت الذي حاربوا فيه الثقافة المصرية في الجنوب أباحوا لأنفسهم ما منعونا منه فصبغوا التعليم هناك بصبغة إنجليزية وجعلوه على أوضاع تخالف أوضاع التعليم المصري ، وإن مما يؤسف له أن المدرسة المصرية الوحيدة التي أنشأتها الحكومة المصرية بالسودان على منهاج التعليم المصري ، تخضع لنظم الحكومة السودانية المركزية وتحكمها ، ولا تظفر هذه المدرسة من الحرية في تدبير أمرها بشيء مما تظفر به المدارس الأجنبية في مصر .

ثم انتقل الدكتور إلى الكلام على الوحدة الثقافية فقال إننا يجب أن نتفق على أن هذه الوحدة أساسها توحيد التعليم في جميع مراحله بجنوب الوادي وشماله ، عدا ما تقتضيه أحوال الأقاليم الجغرافية والاقتصادية من اختلاف كالتبع في مراحل التعليم الأولى بأقاليم القطر المصري ، وقال إن وحدة الثقافة هي الخطوة الأولى والأخيرة والمتوسطة في وحدة الوادي ، لأنها تشيع في القلوب شعوراً واحداً وفي العقل تفكيراً واحداً وفي النفوس عاطفة واحدة ، وحينما يتم ذلك لا يستطيع الإنجليز ولا مجلس الأمن ولا أية هيئة أخرى أن تفصل جنوب الوادي عن شماله .

وقال الدكتور : إننا ما دمنا مؤمنين بالوحدة الثقافية إيماناً

حقاً لا رياء فيه فيجب أن نعمل على تحقيقها ، وذلك بفتح المدارس المصرية على مختلف درجاتها وعلى مصاريفها للطلبة السودانيين ، وإذا اختلفنا في التعليم بمصر أيكون للمصريين بالمجان أم بالثمن فلا ينبغي أن نختلف هذا الاختلاف بالنسبة إلى السودانيين ، بل يجب أن يتعلموا في جميع المدارس المصرية بالمجان ، ويجب أن تهيأ لهم إلى جانب ذلك وسائل الحياة المطمئنة وتيسر لهم الشقات التي تنشأ من الانتقال من بيئة إلى بيئة ، ويجب على الحكومة المصرية ألا تكتفي بذلك بل تبذل كل الوسائل لإغراء السودانيين بالتعليم في مصر . وهنا قال الدكتور : لقد احتملت مصر الامتيازات الأجنبية أربعة قرون ، فمن واجبها أن تحمل للسودانيين امتيازات في التعليم نحو نصف قرن حتى يصلوا إلى المكانة التي وصلنا إليها فتعوضهم بذلك عما لحق بهم من ظلم في الماضي ؛ وإلى أن يمكن إنشاء المدارس في الجنوب كما في الشمال ، يعد أي نوع من تعويق تعليم السودانيين في مصر إجراماً في حق الوطن

تشجيع التأليف المسرحي :

وضعت اللجنة المالية بمجلس النواب تقريرها عن ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية لسنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ . وقد جاء في هذا التقرير أن اللجنة رأت رفع الاعتماد المخصص لمكافآت المؤلفين للمسرح من ٥٠٠ جنيه إلى ١٥٠٠ جنيه ، لأنها رأت أن المبلغ الأول تافه إلى حد نأى بكبار الكتاب عن الدخول في ميدان التأليف المسرحي مما أدى إلى حرمان المسرح المصري من جهود أولئك الكتاب وهبط بالمستوى الفني للمسرحية المصرية في الآونة الأخيرة بصفة عامة .

وسائل النهوض بالسينما :

ومما جاء في ذلك التقرير خاصاً بالسينما أن اللجنة رأت في العام الماضي ضرورة وضع تشريع ينظم صناعة السينما في مصر ، ويضع حداً للعوامل التي أدت إلى هبوط مستواها الفني ، فقد كانت صناعة السينما في مصر قبل الحرب مزدهرة ، وكان لإقبال الأقطار الشقيقة وترحيبها بالأفلام المصرية أثر بارز في هذا الازدهار ثم زاد ازدهارها إبان الحرب لعدم ورود الأفلام الأجنبية ، لكن رجال المال تدخلوا في هذه الصناعة بنية الكسب ، واستعانوا ببعض الفنيين الذي لم تتوافر لديهم الدراية الكافية في هذا الفن لحمل هذا العبء ، ومن ثم هبط المستوى الفني ، مما أثار الشكوى من ضعف الأفلام . وإلى جانب هذا التشريع رأت اللجنة وجوب إيفاد بعثة فنية إلى الخارج لتزود بأحدث ما وصلت إليه هذه الصناعة ، كي تساير نهضتنا السينمائية جميع مراحل التطور السينمائي . ولكن الوزارة لم تخط نحو هذا العلاج أية خطوة ، فالتشريع لم يصدر ، والبعوث لم توفد . لهذا تكرر اللجنة رغبتها في وضع هذا التشريع سريعاً كما ترى إدراج الاعتماد اللازم في ميزانية إدارة البعثات لإيفاد أربعة شبان إلى أوربا وأمريكا لدراسة فنون الإخراج السينمائي وغيرها مما يتعلق بصناعة السينما . وتقترح اللجنة لدعم هذه الصناعة وتوجيهها إنشاء مجلس أعلى للسينما يضم الفنيين الممتازين ، وترى اللجنة أن من وسائل التشجيع وضع جوائز قيمة للذين ينتجون أحسن الأفلام العربية فنياً واجتماعياً ، لأن هذه الجوائز تحفز كبار المنتجين على خوض هذا المضمار . واللجنة لا تردد في أن تخطو هذه الخطوة من جانبها فترى إدراج ٥٠٠ جنيه جائزة لأحسن فلم ينشأ خلال العام ، على أن يكون المجلس الأعلى هو الحكم في وضع شروط هذه الجائزة وتقدير العمل ومنحه الجائزة التي يستحقها .

العباسي

تظهر بعد أيام مختارات جديدة :

من يوميات محام

للاستاذ عبده حسن الزيات المحامي

التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود :

جاء في مقال الأستاذ عبد المتعال الصعيدي المنشور في العدد (٧٦٤) من (الرسالة) الغراء تحت هذا العنوان مايلي : « ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم بناء لامرد له ، وأجلوهم من فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا بالمسيح وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا نبيه ... الخ »

قلت : إن هذا لا يتسق والتسلسل الزمني للتاريخ ، اذ كيف يقضي الروم على دولة اليهود ويجلوهم من فلسطين لأنهم كذبوا بالمسيح وحاولوا قتله قبل ظهوره ؟

والذي تذكره المراجع التاريخية أن الروم احتلوا أورشليم على يد قائدهم بمبيوس قبيل ظهور المسيح ، وظلت البلاد تحت حكمهم حتى استولى عليها العرب زمن الخليفة العادل عمر ابن الخطاب .

أما تدمير أورشليم وتشتيت شمل اليهود للمرة الثانية في التاريخ — بعد وقيعة نبوخذ نصر بهم — فكان سنة ١٣٥ ميلادية في عهد الأمبراطور الروماني دريانوس ، وذلك بعدان نفد صبر الروم من كثرة الثورات التي كانوا يقومون بها والدسائس التي يدسونها الى تقوم لهم قائمة إلى ماشاء الله ...

وللأستاذ الصعيدي تحياتي وإعجابي .

(بغداد) علي الشوبكي

الى الأستاذ علي بك علوبي :

جاء في عدد الرسالة (٧٦٤) في مقالك «القتل في الشرائع» أن استشهدت على القتل في الأنجيل بما جاء في هذه الآية :

«سمعتم إنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيسر فحول له الآخر أيضاً » .

وهذه الآية لا تتضمن في معناها سوى الحض على التسامح وعدم مقابلة الشر بمثله ، ولا نلمح فيها جانباً يشير إلى القتل ؛ وقد ذهبت نتيجة لذلك إلى أن الإنجيل تساهل في عقوبة القاتل . والصحيح أن الإنجيل نص على عقوبة القاتل نصاً صريحاً في الآية التالية من انجيل متى :

« سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال يا أحمق يستحق نار جهنم » .

فإذاً نستنتج مما تقدم أن الإنجيل لم يحرم القتل ووضع له عقوبة فحسب بل حرم ماهو أقل منه بدرجات .

الرملة — فلسطين رزق عيسى زعرور

أسس التعليم الأولي :

أخرج الأستاذ «خورشيد عبد العزيز» المعلم بمدرسة «دميرة» باكورته الأولى. أسس التعليم الأولى في مصر «وكان ذلك نتيجة سنوات قضاها المؤلف في مزاولة مهنة التعليم ، وهو في كتابه هذا يعالج مشاكل مختلفة تمس المعلم والتلميذ وغير ذلك مما هبط بذلك الضرب من التعليم . وهذه المشاكل إن عولجت فستظهر ثمرات التعليم الأولى في مصر ، وسيلمس المواطنون تلك الرسالة التي يؤديها المعلم الأولى . ولم ينس المؤلف أن يسجل فضل رجالات مصر العاملين على نهضة التعليم وفي مقدمتهم أستاذنا الجليل الزيات وإنا لنحيي في المؤلف هذا الجهود والله ولي التوفيق .

علي زين العابدين منصور

تنبيه لا بد منه :

كثيراً ما يخلط الكاتبون بين استعمال (ثم) الخاطفة و (ثم) التي بمعنى هناك للشيء البعيد دون القريب ، وذلك بإلحاقهم التاء المفتوحة والمربوطة على كليهما دون مراعاة الأصل . والصواب

ألا يدخل (ثم) العاطفة سوى التاء المفتوحة لا غير . كقول من قال :

ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

أو كقول الآخر .

واقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

أما (ثم) المكانية التي بمعنى هناك ، فلا يلحق بها إلا التاء المربوطة تمييزاً لها من اختها العاطفة ..

وكلاهما يستعمل في لغة البيان ، غير أن ثمت العاطفة ترد في الأعم الأغلب في الشعر دون النثر وذلك للضرورة التي يقتضيها الوزن في سياق القصيد . فتنبه شكر الله لك .

(الزيتون) عمر بهاء

المجمع اللغوي وتشجيع الانتاج الأدبي:

وافق المجمع اللغوي على اجراء مسابقة جديدة لتشجيع الانتاج الأدبي وتوزيع جوائز على الفائزين على الأساس الآتي :

مائتا جنيه لكل من أحسن انتاجاً من الشعر العربي الفصيح سواء كان مخطوطاً أو مطبوعاً ومن أحسن قصة وضعت بالعربية الفصحى سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة منذ أكتوبر الماضي إلى أكتوبر القادم على الا تقل القصة المقدمة عن مائتي صفحة من القطع المتوسط .

ومائتا جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن أثر الحروب الصليبية في الأدب العربي في مصر والشام . ومائتا جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن أبي الفرج الاصفهاني وكتاب الأغاني وألا يقل البحث المقدم في كليهما عن مائتي صفحة من القطع المتوسط .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع اللغوي صورتين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المتقدم للحصول على الجائزة وذلك في موعد لا يتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ والمجمع سيحتفظ بنسختي الانتاج الفائز وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عناوينهم واضحاً ويوقعوا على كل صورة يقدمونها وتقدم الموضوعات المتبارى عليها باسم لجنة الأدب بالمجمع .

قصة فتـــــاة

(بقية المنشور على صفحة ٣٢٦)

كتفها قد تدلت في فراغ الخصر واستقرت على الجانب ؛ وشفتاها الفرمزيتان قد انفرجتا عن ثغرها الشتيت لتلقي التحية ثم تواصل الحديث . وكانت الجوقة حينئذ تعزف لحناً رقيقاً رفيقاً ينسجم مع شحوب الضوء وهدوء المكان ونشوة الجلاس ، ولكنها جعلت الموسيقى دبر أذنها وفضلت أن تتكلم على أن تسمع ، فأخذت تناقلني على الطعام شهي النوادر وطلي الأخبار حتى جرها الحديث إلى أنشودتها الغرامية المعتادة ، فعطفتها برفق إلى حديث يوم الأحد الماضي وسألتها : لماذا في هذا الأسبوع قد وجدت النور الذي تفتقدين ، والسلام الذي تنشدين !

فقالت وهي تنفض رأسها إلي : أي نور وأي سلام وقد شد الله عضد شيطاني بشياطين أخر ؟ لقد وجدت في بنت أختي وأترابها من الإغواء ما يضل العابد بلفظة ، ويفتن الراهبة في لحظة !

فقلت لها : إذن لا بد من الرجوع إلى العزبة .

فقالت : أرجع إلى الوتد والحبل ؟ لا يا سيد سيخان ! دعني بربك أجرب حظي مع الذئب !

لم أكن بعد ذلك في نصيحتي لبلانكيت إلا كمن يرقم على ماء أو ينفخ في رماد ، ففوضت أمرها إلى الله ثم افترقنا على غير ميعاد .

(للقصة بقية) محمد السباعي

تصويب :

في مقالة (قسمة قروش) في العدد (٧٦٥) :

فاستقرا على ما في يدي	صوابها	فاستقر على ما في يدي
عوايتهم إليها	«	توانيهم إليها
حرباً عليه ليس معها	«	حرباً عليه حرباً ليس معها
فأترعت روعهما	«	فأترعت روعها ؟
درت أمس بشعاذة	«	مررت أمس بشعاذة
يرى أطفال الناس	«	وهو يرى أطفال الناس
ولكن أهذا ذنب	«	ولكن هذا ذنب

وفي مقالة (حكمة القدر) في العدد (٧٦٣) :

يذكر الإيمان	صوابها	يؤكد الإيمان
فاكتفه صاحبه	«	فاكتفه صاحبه

ديوان أبي فراس الحمداني

حققه وحرّره ووضع فهارسه

الدكتور سامي الدهان

دكتوراه دولة في الآداب من باريس مع مرتبة الشرف الممتازة

العصر الحمداني من أزهى عصور الأدب العربي عاش في ظله نخبة من الشعراء خلد شعرهم على الزمان ، وحفظت لهم العربية أنهم في بطون الكتب يتداولها جيل بعد جيل مخطوطة بعد مخطوطة حتى كانت الطباعة فلم يلقوا منها ما لقي أقرانهم ، ولم يظهروا على نورها كما ظهر أندادهم ؛ فظلموا ظلماً لا يقره الأدب وفيهم : النامي والناشيء والصنوبري وكشاجم وأبو فراس السري الرفاء ، وكلهم فحول أقوياء لو تفرقوا على العصور العربية لكان كل منهم واحدها .

ولكن هذا الظلم قد انتهى — والحمد لله — فيما نعتقد ، انقضى أجله فيما نرى ، بعد أن تصدى لهذا العصر الحمداني من بسمة بني حمدان في القرن العشرين الأديب الباحث المحقق الدكتور سامي الدهان ، يسعى في جمع تراث العصر الحمداني كله ليظهره إلى الناس كاملاً يزهو في القرن الرابع عشر الهجري كما كان في القرن الرابع . فهو يعمل في اختصاص دقيق كما يعمل علماء الغرب شعراءهم سواء بسواء .

وهو إذ يخرج لنا اليوم « ديوان أبي فراس الحمداني » نرى في طيات عمله تهيئة كاملة ، وإعداداً شاملا لشعراء العصر كله ، نرجو أن نرى أثره قريباً فيما ينشر من نصوصه ويظهر من متونه . ويلمس هذه المعرفة الشاملة للعصر الحمداني مما أثبت لنا حضرة الناشر في حواشي « الديوان » وتعليقاته ، من وقوف على مخطوطات العصر ، وشغف بمراجعه ، واضطلاع بكل ما فيه من شعر ونثر ، وتاريخ وسير .

ونرجو أن يزهو الشعراء الحمدانيون جميعاً بعد قليل بدواوينهم كاملة كما يزهو اليوم « أبو فراس » بديوانه الجديد الذي حققه ونشره الدكتور الدهان بعد جهد نافع طويل وجد مثمر كبير ، فقد مضى الشاعر وخلف بعده ما شدا به في جولاته ، وما كان منه مع تلك الحياة القريبة ما بين طرفيها ، ومن شعر جمعه ديوانه على تقصير في الاستيعاب ، وتخلف في تحرير الكلمات ، وجنف عن إقامة الأوزان ، وبعد عن التيسير بالضبط والشرح .

وغير الديوان يخرج من طبعة إلى طبعة حاملا مع الأوزار الأولى أوزاراً أخرى ، والناس قانعون من شعر الشاعر بما صح لهم في مبناه ومعناه ، أو بما لان لتوجيههم فاستقام ، متخففين مما استعصى على الفهم ، وند عن الإقامة ، فعاش من الديوان قله . هذا غير شعر غاب عن النشر كثير خفي بخفائه جانب من حياة صاحبه ، وأخفى الاستغلاق جانباً آخر . وما الدراسة يتنازعها هذان نجاء من الزال أو قرب من السداد .

ذكرت ذلك كله وأنا أنظر في ديوان أبي فراس الجديد الذي أخرجه حضرة الباحث المحقق ، فقد وجدتني بين أجزاء ثلاثة كبار تربى صفحاتها على الثمانمائة ، في ثوب جد أنيق . وكنت أجدني بالأمس القريب بين صفحات تبلغ المائة أو تزيد عنها ، في رثاثة وبذاذة . وجدتني أطالع جهداً جديداً على النشر في الشرق طالما رقبناه ورجوناه ، فهذا استقصاء في المقابلة بنسخ من الديوان جاوزت الأربعين خف إليها الدكتور يحصيها ويجمعها ، وكانت هنا وهناك في مكتبات الشرق والغرب ، أفادت الكثير بما زادت وحررت . وهذا شرح لابن خالويه على الديوان بين تمهيد لفضائله وتفصيل لحوادثه وإبانة عن غوامضه لا عهد للناس به من قبل . وغير هذا وهذا مما جاء من إشارات إلى أماكن شعر أبي فراس من كتب الأدب والتاريخ ، وفيها نفع واستئناس . ثم ما كان من إشارات إلى أماكن الحديث عن أبي فراس في هذه المراجع . صنع الدكتور الدهان بديوان « أبي فراس » هذا وغيره فوفاه ضبطاً وشرحاً وزوده بفهارس عشرة ، بعضها للشعر المروي في كتب الأدب والتاريخ ، وبعضها لما تفردت به هذه الطبعة ولم يحمله ديوان لأبي فراس قبل ، وبعضها للمعاني والأبواب ، ثم القوافي والأعلام والقبائل والأماكن والكتب والموضوعات .

ذلك عدا دوحة انتظمت بأصولها وفروعها الأسرة الحمدانية كما استخلصها الدكتور الناشر من شعر الشاعر وما ضمنته المراجع . وعدا جدول تكاد العين تضل في سمته جمع المقابلات

بين القصائد والنسخ الخطية في بسط واستيفاء .

هذا ديوان أبي فراس الجديد يدلل على ما بذل فيه من جهد وما حمل في سبيله من عناء . وقد حبس الدكتور الناشر على هذا العمل نفسه سنين عشراً بين إعداد وطبع . وما عشر سنين بكثير على مثل هذا العمل الجليل . وما أحوجنا ونحن بسبيل إحياء نصوصنا القديمة أن تكون لنا الثقافة إلى مثل هذا الاستقصاء لا نبالي امتد بها الأجل أم قصر .

وبين أيدينا مؤلفات عنى بها مستشرقون كتب لها الخلود وليس عليها إلا أن تعاد طبعاً ؛ وليس بدونها إن لم يفضلها أبو فراس الحمداني . فما في الظن أنه تبقى لأبي فراس شيء في عالم الغيب لم يهتك عنه الدكتور الدهان ستراً ، ولا مكتوبة من ديوانه لا تزال سراً . فما أحقه من عمل بالثناء ، وأجدره من نهج بالجزاء ، وأولاها من طريقة بالاقتداء ...

ابراهيم الابياري

ابراهيم بن سيار النظام

تأليف الدكتور عبد الهادي أبو ريده

كتاب فلسفي أخرجه منذ عهد غير بعيد الدكتور عبد الهادي أبو ريدة المدرس بكلية الآداب وقد عرض فيه حياة النظام وآراءه الفلسفية سواء كانت آراء طبيعية تتصل بالجسم والحركة والخلق والكمون والتداخل ، أو آراء اخلاقية أو سياسية تتصل بالخير والشر والجبر والاختيار والإرادة والاستطاعة ، عرضها في نهج نظيم وأسلوب قويم . وقد تحدث الدكتور أبو ريده إلى جانب هذا عن النظام من الناحية الفكرية فبين رأيه في الحديث ومسائل الفقه وتفسير القرآن وإعجازه ، وذكر طرفا من أدبه وشعره ، ولكنه طرف موجز مقتضب ؛ فالكتاب كتاب فلسفة وليس بكتاب أدب . وقد خصص الدكتور أبو ريده فصلين في الكتاب أحدهما عن الله والآخر عن الإنسان لعلمها أروع ما في الكتاب .

ولي كلمة موجزة أحب أن أوجهها إلى الدكتور أبو ريده بمناسبة إخراجه كتاب النظام والتمهيد للباقلاني وهي أننا كنا ننتظر منه شيئاً آخر ؛ فالدكتور أبو ريده يكاد يكون الثانية في حياته الخاصة ولا يرى إلا متكلما بالألمانية بين ردهات الكلية ؛ ولكن للأسف لم تستفد المكتبة العربية من الثانيه شيئاً يذكر . وخليق به أن يترجم لنا عيون كتب الفلسفة الألمانية ويحدثنا عن الفلاسفة الألمان حديثاً مستفيضاً صحيحاً . ويظهر أن الدكتور يحس بقلة إنتاجه الفكري وقصر مدة تدريسه بالجامعة وهي سنتان فيلجأ إلى تلاميذه وغير تلاميذه في البحث ومراجعة التجارب . والواقع أن الأستاذ أبو ريده في وسعه أن ينتج كثيراً وأن ينتج شيئاً مرضياً أيضاً ولكنه يؤثر العافية اكتاب النظام كتاب قيم ما في هذا شك وقد ألجأ إلى تحليله في فرصة أخرى .

إبراهيم جمال الدين الرسادي

شباب قريش

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

خصبة ممتعة تلك الأبحاث التي تكشف لك نواحي محجبة لم يجس خلالها فكر ، ولا حاق في أرجائها خيال ؛ فتكون بمثابة الرائد في عالم الفكر ؛ يشوقك ويحفزك إلى التطلع والمغامرة بما يعرضه من صور وما يقربك به من مشاهد ؛ فيكون أثرها في إثارة الهمم وشحذ القرائح عميقاً مثمرا من هذه الأبحاث — شباب قريش — في المهد السري للاسلام — فقد تناول — المؤلف — جانباً من تلك الجوانب الكثيرة المتشعبة في حياة الدعوة الإسلامية ، وهو أثر هذه الدعوة في نفوس الشباب وتدفق تيارها القوي الفعال في نضارة قلوبهم الزاخرة الجياشة وكيف كان إنفعال هذه النفوس بها وإيمانهم بمبادئها ! حتى غدت تلك المبادئ وقد أصبحت جزءا من كيانهم الروحي والعقلي والخلقي ؛ فوثبت تلك المبادىء بشبابهم واكتست الدنيا من إخلاصهم ونشاطهم ذلك الرداء الروحي والاجتماعي ؛ البهيج حول تلك الرسالة وثاق شباب قريش لها وبذل كل ما يدخل في الطوق بذله في سبيل تبليغها والتمكين لها .

أقام المؤلف هذا البحث فوفق في تجلية هذه الناحية وفتح لنا طريقاً جديداً لمن يريد أن يعالج هذه النواحي من الجانب النفسي والاجتماعي والتاريخي . وقد مهد المؤلف لتاريخ أولئك الشباب بنظرات عن سبق الشباب إلى الإسلام ، وأثر الشباب في الإسلام وأسماء الشباب والشابات ؛ ثم أخذ يقدم لك هؤلاء الشباب في صور موجزة طلية تدعو إلى الإيمان بأن كل دعوة لا يناصرها إخلاص الشباب وحمية الشباب وفداء الشباب مقضي عليها . نأمل أن يحدث هذا الكتاب في نفوس شبابنا ما أحدثته الدعوة الإسلامية في نفوس شباب قريش .

محمد عبد الحليم أبو زيد